العقائد

للإمام الشهيد حسن البنا

شناسنامه کتاب

نام کتاب	:	العقائد
مؤلف	:	حسن البنا
ناشر	:	انتشارات ادب
چاپ	:	نهضت
نوبت چاپ	:	اول
تاریخ انتشار	:	بهار ۷۱
تیراژ	:	۴۰۰۰ جلد
قیمت		۲۰۰ ریال

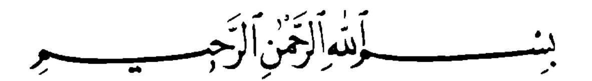
العَقَائِدُ

٤/٢٠

الطبعة الأولى

العَقَائِدُ

للإمَام الشَهيد حَسَن البَنّا


بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدّمَات

١ - تعريف العقائد :

العقائد : هي الأمورُ التي يجب أن يُصدِّق بها قلبُك . وتطمئنَ إليها نفسُك . وتكون يقيناً عندك . لا يمازجه ريْب . ولا يخالطه شك .

٢ - درجات الاعتقاد :

والناس في قوةِ العقيدة وضعفِها أقسام كثيرة . بحسب وضوح الأدلة . وتمكنها من نفوس كل قسم . ولنوضحْ لك هذا المقام بضرب المثال الآتي :

لو أن رجلاً سمع بوجود بلد لم يَره، كاليمن مثلاً، من رجل آخر غير معروفٍ بالـكذب، فإنه يصدق بوجود هذا البلد ويعتقده؛ فإذا سمع هذا الخبر من عدّةِ رجالٍ زاد به ثقةً، وإن كان لا يمنعه ذلك من أن يشك في اعتقاده إذا عرضت له الشُّبُهات. فإذا رأى صورته الفتوغرافية زاد اعتقادُه بوجوده، وأصبح الشك متعسراً عليه أمامَ قوة هذا الدليل. فإذا سافر وبدت له أعلامهُ وبشائرهُ زاد إيقانُه وزالَ شكه، فإذا نزله ورآه رأي العين، لم يعد هناك مجالٌ للريبة، ورسخت في نفسه هذه العقيدة رسوخاً قويًا حتى يكون من المستحيل رجوعه عنها ولو أجمع الناس على خلافها. فإذا سار في طرقه وشوارِعه، ودرسَ شؤونَه وأحوالَه ازدَاد به خبرةً ومعرفةً، وكان ذلك أمراً موضحاً لاعتقاده زائداً عليه.

إذا علمت هذا فاعلم أن الناسَ أمامَ العقائِد الدينية أقسامٌ كذلك: منهم من تلقاها تلقيناً، واعتقدها عادة، وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك إذا عرضت له الشُّبُهات. ومنهم من نظر وفكَّر فازداد إيمانُه، وقويَ يقينهُ. ومنهم من أدام النَظرَ وأعملَ الفِكْر، واستعان بطاعِة الله تعالى وامتثال

أمرِه، وإحسانِ عبادتِه، فاشرقت مصابيحُ الهداية في قلبه، فرأى بنور بصيرتِه ما أكملَ إيمانَه وأتمَّ يقينه، وثبَّت فؤادَه: ﴿والَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[1].

وإنما ضربنا لك هذا المثل لترقى بنفسك عن مواطِن التقليدِ في التوحيدِ، وتُعمل الفكر في تَفَهُّمِ عقيدتك، وتستعين بطاعة مولاك في معرفةِ أصولِ دينِك حتى تصلَ إلى مراتب الرجالِ، وترقّى في مدارج الكمال:

قد رشَّحوك لأمرٍ لو فَطِنْتَ له
فاربأ بنفسِك أن ترعَى مع الهَملِ

٣ - تقدير الاسلام للعقل:

أساسُ العقائدِ الإسلامية - ككل الأحكام الشرعية - كتابُ الله تعالى، وسنَّةُ رسولِه ﷺ.

ويجب أن تعلم، مع ذلك، أن كل هذه العقائد يؤيِّدُها العقل، ويثبتُها النظرُ الصحيحُ؛ ولهذا شرف الله تعالى العقلَ بالخطابِ، وجعَلَه مناطَ التكليف، وندبه إلى البحثِ والنظر

(١) سورة محمد آية ١٧.

والتفكيرِ. قال الله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا ماذا في السَّمواتِ والأرض[١] وما تُغْني الآياتُ والنُّذُرُ عن قومٍ لا يؤمنونَ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿أَفَلم يَنْظُرُوا إلى السَّماءِ فوقَهم[٣] كيف بَنَيْناها. وزَيَّناها. وما لها من فُرُوجٍ. والأرضَ مَدَدْناها. وألقَيْنا فيها رَواسِيَ. وأنْبَتْنا فيها من كل زَوْجٍ بهيجٍ. تَبْصِرةً وذِكْرَى لكلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ. ونَزَّلنا من السَّماء ماءً مباركاً فَأَنْبَتْنَا بهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحصيد. وَالنَّخْلَ باسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ. رِزْقاً للعبادِ وَأَحْيَيْنَا به بلدةً ميْتاً. كذلكَ الخُروجُ﴾[٤] وذم الذين لا يتفكرون ولا ينظرون فقال تعالى: ﴿وكأين من آيةٍ[٥] في السَّمواتِ والأرض يمُرُّون عليها وهم عنها مُعْرِضُونَ﴾[٦]

---

(١) أي من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى. ﴿وما تغني الآيات﴾، أي الدلالات. ﴿والنذر﴾، أي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

(٢) سورة يونس آية ١٠١.

(٣) أي نظر اعتبار وتفكر ﴿كيف بنيناها﴾، أي رفعناها بلا عمد. ﴿وزيناها﴾ بالنجوم ﴿ومالها من فروج﴾ أي شقوق تعيبها ﴿والأرض مددناها﴾، أي دحوناها ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ جبالاً تثبتها ﴿من كل زوج﴾، أي صنف من النبات ﴿بهيج﴾ أي حسن يسر الناظرين ﴿تبصرة﴾ أي فعلنا ذلك تبصيراً منا ﴿وذكرى﴾ تذكيراً ﴿لكل عبد منيب﴾ رجاع إلى طاعتنا ﴿فأنبتنا به جنات﴾، أي بساتين ﴿وحب الحصيد﴾: أي وحب النبت المحصود. ﴿والنخل باسقات﴾، أي طوالاً ﴿لها طلع نضيد﴾ متراكب بعضه فوق بعض ﴿كذلك الخروج﴾، أي من القبور.

(٤) سورة ق آية ١١.

(٥) ﴿وكأين من آية﴾ أي وكم من آية دالة على وحدانية الله تعالى ﴿يمرون عليها﴾، أي يشاهدونها ﴿وهم عنها معرضون﴾، أي لا يتفكرون فيها.

(٦) سورة يوسف آية ١٠٥.

وطالب الخصوم بالدليل والبرهان حتى فيما هو ظاهر البطلان ، تقديراً للأَدلةِ . وإظهاراً لشرف الحجة . وقد ورد في الحديث أن بلالاً جاءَ يُؤذِنُ النبيَ ﷺ بصلاة الصبح ، فرآه يبكي فسأله عن سبب بكائه . فقال : «ويحكَ يا بلالُ ! وما يمنعني أن أبكيَ وقد أنزلَ الله عَليَ في هذه الليلة ﴿إِنَّ في خَلْقِ السَّموَات والأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الليْل وَالنَّهارِ لآيَاتٍ لأولي الألبابِ﴾[١] ثم قال : «وَيْلٌ لمن قرأها ولم يَتفكَرْ فيها» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (التفكر) .

ومن هنا تعلم أن الإِسلام لم يَحجُر على الأفكار ولم يحبس العقول . وإن أرشدها إلى التزامِ حدِها . وعرَّفها قلَةَ علمها . وندَبها إلى الإِستزادة من معارِفها . فقال تعالى : ﴿وَمَا أُتيتُم من العِلْمِ إلَّا قَليلاً﴾[٢] . وقال تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِ زِدْني عِلْمًا﴾[٣] .

---

(١) ﴿لآيات لأولي الألباب﴾ الذين يستعملون عقولهم في تأمل الدلائل . قال القرطبي : ختم تعالى هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال في آياته إذ لا تصدر إلا عن حيٍّ قيوم قدير قدوس غني عن العالمين حتى يكون إيمانهم مستنداً إلى اليقين لا إلى التقليد . سورة آل عمران آية ١٩٠ .

(٢) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(٣) سورة طه آية ١١٤ .

٤ - أقسـام العقاد الإِسلامية :

العقائد الإِسلاميةُ تنقسمُ إلى أربعةِ أقسامٍ رئيسيةٍ ، تحت كل قسم منها فروع عِدّة .

القسم الأول : الإِلهيات ، وتبحث فيما يتعلق بالإِله سبحانه وتعالى من حيث صفاته وأسماؤه وأفعاله . ويلحق بها ما يستلزمه اعتقادُه من العبد لمولاه .

والقسم الثاني : النبوَّات ، وتبحث في كل ما يتعلق بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث صفاتهم وعصمتهم ومهمتهم والحاجة إلى رسالتهم . ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء رضوانُ الله عليهم ، والمعجزةِ والكرامةِ ، والكتبِ السماويةِ .

القسم الثالث : الرُوحانيّات ، وتبحث فيما يتعلق بالعالَمِ غير المادي : كالملائكةِ عليهم السلام ، والجن ، والروح .

القسم الرابع : السَّمْعيّات ، فيما يتعلق بالحياة البَرْزَخيَّةِ ، والحياة الأخروية : كأحوال القبر ، وعلاماتِ القيامةِ ، والبعثِ ، والموقفِ ، والحسابِ ، والجزاءِ .

القسم الأول - الإلهيات

١ - ذات الله تبارك وتعالى:

اعلم يا أخي، هدانا الله وإياك إلى الحق، أن ذات الله تبارك وتعالى أكبر من أن تحيطَ بها العقولُ البشريةُ، أو تدركَها الأفكارُ الإنسانيةُ، لأنها مهما بلغت من العلوّ والإدراك محدودة القوةِ، محصورة القدرةِ. وسنفرد لك بحثاً خاصاً إن شاء الله تعالى، تعلم منه مبلغ قصور العقل البشري عن إدراك حقائق الأشياء، ولكن يكفي أن أذكرك بما نلمسه الآن من عقولنا، من أكبرها إلى أصغرها، تنتفع بكثير من الأشياء ولا تعلم حقائقها. فالكهرباء، والمغناطيس، وغيرهما، قوى نستخدمها وننتفع بها ولا نعلم شيئاً من حقيقتها، ولا يستطيع أكبرُ عالم الآن أن يفيدك عنها بشيء؛ على أن معرفة حقائق الأشياء وذواتِها لا يفيدنا بشيء، ويكفينا أن نعرفَ من خواصها ما يعود بالفائدة علينا.

فإذا كان هذا شأننا في الأمور التي نلمسها ونحسُّها فما بالك بذات الله تبارك وتعالى؟! وقد ضل أقوام تكلموا في

ذات الله تبارك وتعالى فكان كلامهم سبباً لضلالهم وفتنتهم واختلافهم لأنهم يتكلمون فيما لا يدركون تحديدَه. ولا يقدرون على معرفةِ كُنْهِه. ولهذا نهى رسولُ الله ﷺ عن التفكير في ذات الله. وأمر بالتفكر في مخلوقاته.

التفكر في ذات الله:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوماً تفكَّروا في الله عز وجل فقال النبيُّ ﷺ: «تَفَكَّرُوا في خَلقِ الله. ولا تَتَفَكَّرُوا في الله، فإنكم لن تَقْدُرُوا قَدْرَهُ» قال العراقي: رواه أبو نُعَيمٍ في الحِلْية بإسنادٍ ضعيفٍ. ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه. ورواه أبو الشيخ كذلك. وهو على كل حال صحيح المعنى.

وليس ذلك حَجْراً على حرية الفكر. ولا جموداً في البحث. ولا تضييقاً على العقل. ولكنه عِصمةٌ له من التردي في مهاوي الضلالةِ. وإبعادٌ له عن معالجة أبحاث لم تتوفر له وسائلُ بحثٍ. ولا تحتمل قوّته. مهما عظمت. علاجها. وهذه هي طريقة الصالحين من عباد الله العارفين

بعظمةِ ذاتِه، وجلالِ قدرِه. سئل الشبليُّ[1] رحمه الله تعالى عن الله تبارك وتعالى فقال: هو الله الواحد المعروف، قبل الحدود وقبل الحروف. وقيل ليحيى بن مُعاذٍ: أخبرني عن الله عز وجل؟ فقال: إلهٌ واحد. فقيل له: كيف هو؟ فقال: مَلِك قادر. فقيل له: أين هو؟ فقال: هو بالمِرْصادِ. فقال السائل: لم أسألْك عن هذا. فقال: ما كان غير هذا كان صفة المخلوق. فأما صفته فما أخبرتك عنه.

فاحصر همتك في إدراك عظمةِ ربِّك بالتفكر في مخلوقاتِه والتمسك بلوازمِ صفاتِه.

٢ - أسماء الله الحسنى:

إن الخالق المتصرف جل وعلا تعرَّف إلى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله، يحسن بالمؤمن حفظها تبركًا بها، وتلذذاً بذكرها، وتعظيمًا لقدرها. وإليك الحديث الصحيح الذي جمعها، فَنِعم المعلِّمِ حديثُ رسولِ الله ﷺ. ونعم المرشِدُ والهادي لسانُ الوحي، ومشكاةُ النبوَّة.

---

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي: قال أبو القاسم القشيري: بغدادي المولد والمنشأ، صحب الجنيد ومن في عصره.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : «لله تسعةٌ وتسعونَ اسماً مائةٌ إلا واحداً[١] لا يحفظها أحدٌ إلا دخلَ الجنّةَ ، وهو وَتْر[٢] يحبُّ الوتْرَ» رواه البخاريُّ ومسلمٌ ، وفي رواية للبخاري «من أحصاها» ورواه التّرمذيُّ وزاد : ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو ، الرحمنُ الرحيمُ ، الملِكُ ، القُدُّوسُ ، السلامُ ، المؤمِنُ ، المُـهَيمِنُ ، العزيزُ ، الجبّار ، المتكـبِّرُ ، الخالِقُ ، البارئ ، المصوِّرُ ، الغفارُ ، القهّار ، الوهّابُ ، الرزّاقُ ، الفتّاحُ ، العليمُ ، القابضُ ، الباسِطُ ، الخافِضُ ، الرافعُ ، المعِزُّ ، المذِلُّ ، السميعُ ، البصيرُ ، الحكَمُ ، العدلُ ، اللطيفُ ، الخبيرُ ، الحليمُ ، العظيمُ ، الغفورُ ، الشكورُ ، العليُّ ، الـكبيرُ ، الحفيظ ، المُقيتُ ، الحسيبُ ، الجليلُ ، الـكريمُ ، الرّقيبُ ،

---

(١) قوله ﷺ «مائة إلا واحداً» قال الحافظ العسقلاني في شرح البخاري : قال جماعة من العلماء الحكمة في قوله «مائة إلا واحداً» بعد قوله ﴿تسعة وتسعون﴾ أن يتقرر ذلك في نفس السامع جمعاً بين جهتي الإجمال والتفصيل ، أو دفعاً لتصحيف الخطي والسمعي .

(٢) قوله ﷺ «وهو وتر» : أي أنه تبارك وتعالى الواحد الذي لا نظير له في ذاته ولا انقسام وقوله ﷺ «يحب الوتر» قال القرطبي : الظاهر أن الوتر هنا للجنس . إذ لا معهود جرى ذكره حتى يحمل عليه ، فيكون معناه أنه يحب كل وتر شرعه . ومعنى محبته له أنه أمر به وأثاب عليه ، ويصلح ذلك لعموم ما خلقه وتراً من مخلوقاته . أو معنى محبته له أنه خصصه بذلك لحكمة يعلمها . ويحتمل أن يريد بذلك وتراً بعينه وإن لم يجر له ذكر . ثم قال بعد كلام : ويظهر لي وجه آخر وهو أن الوتر يراد به التوحيد . فيكون المعنى أن الله في ذاته وكماله وأفعاله واحد يحب التوحيد ، أي أن يوحّد ويعتقد انفراده بالألوهية دون خلقه . فيلتئم أول الحديث وآخره . والله أعلم .

المجيبُ ، الواسعُ ، الحكيمُ ، الودُودُ ، المجيدُ ، الباعثُ ، الشَّهيدُ ، الحقُّ ، الوكيلُ ، القويُّ ، المتينُ ، الوليُّ ، الحميدُ ، المحصي ، المبديءُ ، المـُعيدُ ، المحيي ، المميتُ ، الحيُّ ، القيّومُ ، الواجدُ ، المـاجدُ ، الواحِدُ ، الصَّمَدُ ، القادرُ ، المقتدِرُ ، المقدِّمُ ، المؤخِّرُ ، الأولُ ، الآخِرُ ، الظاهرُ ، الباطِنُ ، الوالي ، المتعالي ، البَرُّ ، التوابُ ، المنتقمُ ، العفوُّ ، الرؤوفُ ، مالِكُ الملكِ ، ذو الجلالِ والإِكرامِ ، المقْسط ، الجامعُ ، الغنيُّ ، المغني ، المـانعُ ، الضـارُّ ، النافِعُ ، النورُ ، الهـادي ، البديعُ ، الباقِي ، الوارثُ ، الرَّشيدُ ، الصَّبورُ﴾ .

معاني بعض أسماء الله :

﴿القُدُّوسُ﴾ المطهَّرُ من العيوبِ . ﴿السلامُ﴾ الأمان لخلقِه ، أو هو السـالمُ من العيوب ، ﴿المـُؤْمِنُ﴾ المصدِّقُ وعدَه لخلقِه والمؤمِّنُ لهـم من عذابِه . ﴿المهيْمن﴾ المسيطرُ المتصرِّفُ ، أو الشهيدُ الرقيبُ . ﴿العزيزُ﴾ القاهرُ الغالبُ . ﴿الجبَّارُ﴾ المنفذ لأوامره . ﴿المتكـبِّرُ﴾ العالي عن صفات الخلق المتفرِّد بصفات عظمتِه ﴿البارئُ﴾ الخالقُ وهو في خلق ذي الروح أظهر .

يقال: بارَئُ النَّسَم وخالقُ السموات والأرض. ﴿المقيتُ﴾ العالِمُ العارفُ ﴿الحَسيبُ﴾ الكافي لخلقِه. ﴿المحصي﴾ هو الذي أحصى كل شيء بعلمِه فلا يفوته شيء من الأشياءِ. ﴿البَرُّ﴾ المتعطِّفُ على عباده ببرِّه ولطفِه. ﴿المقْسِطُ﴾ العادلُ في حكمه. ﴿الرشيدُ﴾ الذي يُرشِدُ الخلق إلى مصالحهم. ﴿الصبورُ﴾ هو الذي لا يعاجلُ العُصاةَ بالانتقامِ منهم.

بحوث تتعلق بأسماء الله الحسنى

١ - الأسماء الزائدة عن التسعة والتسعين:

هذه التسعة والتسعون ليست كل ما ورد في أسماء الله تبارك وتعالى، بل وردت الأحاديث بغيرها من الأسماء. فقد ورد في هذا الحديث من رواية أخرى ﴿الحَنَّانُ﴾ ﴿المنان﴾ ﴿البديع﴾، وورد كذلك من أسمائه ﴿المغيثُ﴾. و ﴿الكفيلُ﴾، و ﴿ذو الطَّوْل﴾ و ﴿ذو المعارج﴾ و ﴿ذو الفضْل﴾، و ﴿الخلاقُ﴾.

قال أبو بكر بنُ العربيِّ في شرح الترمذيِّ حاكياً عن بعضَ أهل العلم : إنه جمع من الكتاب والسنة من أسمائه تعالى ألف اسم . وفي كلام صاحب «القَصد المجرَّد» ما يفيد ذلك ، وأشار إلى ذلك الشوكاني في «تحفة الذاكرين» ثم قال : وأنهضُ ما ورد في إحصائها الحديثُ المذكور وفيه الكفاية .

٢ - الأحاديث التي وردت فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى على المجاز :

ثم اعلم أن بعضَ الأحاديثِ وردتْ فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى ، ولكن قرائن الحالِ وأصل الوضع يدل على غير ذلك ، فاعلم أن ذلك من قبيل المجاز لا الحقيقة ، ومن قبيل تسمية الشيء باسم غيره لعلاقة بينهما أو على تقدير بعض المحذوفات . مثال ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «لا تَسُبُّوا الدَّهرَ فإنَّ الله هو الدَّهْرُ» رواه مسلم ، وحديث عائشة رضي الله عنها : «دَعُوهُ يَئن فَإِنَّ الأَنينَ اسْمٌ منْ أَسْمَاء الله تَعالَى يَرْتَاحُ إِلَيْهِ المريضُ» ، ذكره الجلالُ السيوطيُّ في الجامع الصغير عن الرافعي وحسّنه .

وليس هو من رواية مسلم، ولا من حديث أبي هريرة كما يخطىء بعض الناس، ومنه ما ورد في إطلاق اسم رمضان على الحق تبارك وتعالى في بعض الآثار.

فكل هذه لا يُراد منها ظواهرُها وحقيقةُ الإِطلاق، بل المقصودُ في الأول مثلاً: فإن الله هو المسبب لحوادث الدهر فلا يصح أن يُنْسب إلى الدهر شيء ولا أن يُسبَّ ويُذم[1] وفي الثاني: فإن الأنين أثر قهر الله تعالى يرتاح إليه المريض. وهكذا في المعاني التي تدل عليها قرائن الأحوال.

٣ - التوقيف في أسماء الله تعالى وصفاته:

واعلم أن جمهورَ المسلمين على أنه لا يصح أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسماً أو وصفاً لم يرد به الشرعُ، بقصد اتخاذه اسماً له تعالى وإن كان يُشعر بالكمال. فلا يصح أن نقولَ: مهندسُ الكون الأعظم، ولا أن نقولَ مثلاً: المديرُ العام لشؤونِ الخلقِ، على أن تكون هذه أسماء أو صفات له تعالى يصطلح

---

(١) وقال النووي في شرح مسلم، أي لا تسبوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلها، وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة ما خلق الله تعالى.

عليها، ويتفق على إطلاقها عليه تعالى، ولـكنها إن جاءت في عرضِ الـكلام لبيانِ تصرفه تعالى من باب التقريب للأفهام فلا بأس، والأولى العدولُ عن ذلك تأدباً مع الحق تبارك وتعالى .

٤ - العلمية والوصفية في هذه الأسماء :

وهذه الأسماء المتقدمةُ منها علَمٌ واحد وضع للذاتِ القُدْسية وهو لفظ الجلالة : الله، وباقيها كلها ملاحظ فيها معنى الصفات، ولهذا صح أن تكون أخباراً للفظ الجلالة . وهل هو مشتَقٌّ أو غير مشتق؟ مسـألةٌ خلافيةٌ، لا يترتب عليها أمرٌ عمليٌّ، وحسبنا أنْ نعلمَ أنَّ اسمَ الذاتِ هو هذا الاسم المفرد وبقية الأسماء مشربةٌ بالوصْفيَّة، وفي هذا الـكفاية .

٥ - خواص أسماء الله الحسنى :

يذكر البعضُ أنَّ لكلِّ اسمٍ من أسماء الله تعالى خواصَّ وأسراراً تتعلق به على إفاضةٍ فيها أو إيجازٍ، وقد يتغالى البعض فيتجاوزُ هذا القدر الى زعمٍ أن لكلِّ اسم خادماً رُوحانياً

يخدم من يواظب على الذكر به، وهكذا، والذي أعلمهُ في هذا، وفوقَ كلّ ذي علمٍ عليمٌ، أنَّ أسماء الله تعالى ألفاظٌ مشرَّفةٌ لها فضل على سائر الكلام، وفيها بركةٌ وفي ذكرها ثوابٌ عظيمٌ، وأن الإِنسان إذا واظب على ذكر الله تعالى طهرت نفسُه، وصفت روحُه، ولا سيما إذا كان ذكره بحضورِ قلبٍ وفهمٍ للمعنى. أما ما زاد على ذلك فلم يرد في كتاب ولا سنة، وقد نُهينا عن الغلوّ في دين الله تعالى، والزيادةِ فيه، وحسبنا الاقتصارُ على ما ورد.

اسم الله الأعظم:

ورد ذكر اسمِ الله الأعظمِ في أحاديث كثيرة، منها:

١ - عن بُرَيْدةَ رضي الله عنه قال: سمعَ النَّبيُّ ﷺ رجلاً يدعو وهو يقولُ: اللّهُـمَّ إني أسـألُك بأنّي أشهدُ أنك أنتَ الله لا إلهَ إلا أنتَ، الأحدُ الصَّمدُ[١] الذي لم يلدْ ولم يولَدْ ولم يكن له كُفُواً أحدٌ. قال: فقال: «والذي نفسي بيدِه لقد سأل

(١) ﴿الصمد﴾، أي المقصود في الحوائج. ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾، أي ولم يكن له أحد مكافئاً ومماثلاً.

اللهَ باسمِه الأعظمِ[١]، الذي إذا دُعيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أعطى» رواه أبو داودَ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجَه. وقال المنذِريُّ: قال شيخنا أبو الحسن المقْدسي: هو إسنادٌ لا مطعن فيه، ولا أعلمُ أنه روي في هذا الباب حديثٌ أجودُ إسناداً منه. وقال الحافظُ ابنُ حجر: هذا الحديث أرجحُ ما ورد في هذا الباب من حيث السند.

٢ - عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: دخلَ النَّبيُّ ﷺ المسجِدَ ورجلٌ قد صلّى[٢] وهو يدعو ويقول في دعائِه: اللّهُـمَّ لا إله إلا الله، أنتَ المنَّانُ، بديعَ السّمواتِ والأرض، ذا الجلالِ والإكرامِ[٣]. فقال النَّبيُّ ﷺ: «أتدرون بمَ دعا الله؟ دعا الله باسمِه الأعظم الذي إذا دُعيَ به أجابَ، وإذا سُئلَ به أعطى» رواه أبو داودَ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجَه.

---

(١) «ولقد سأل الله باسمه الأعظم» قال الطيبي: فيه دلالة على أن لله تعالى اسماً أعظم إذا دعي به اجاب، وأن ذلك مذكور ههنا، وفيه حجة على من قال: كل اسم ذكر بأخلاص تام مع الإعراض عما سواه هو الأسم الأعظم؛ إذ لا شرف للحروف، وقد ذكر في أحاديث أخر مثل دلك وفيها أسماء ليست في هذا الحديث إلا أن لفظ الله مذكور في الكل فيستدل بذلك على أنه الأسم الأعظم.

(٢) «دخل النبي ﷺ المسجد ورجل قد صلى» قال النووي: قال الخطيب: هذا الرجل أبو عياش زيد بن الصامت الأنصاري الزرقي.

(٣) ﴿ذا الجلال والإكرام﴾، أي يا ذا العظمة والكبرياء وذا الإكرام لأوليائك.

٣ - عن أسماءَ بنت يزيد رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال: اسمُ الله الأعظمُ في هاتين الآيتين ﴿وإلهُكُمْ إلَهٌ وَاحِدٌ لَا إلهَ إلّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ﴾ وفاتحة آل عمران: ﴿الم. الله لا إلهَ إلّا هو الحَيُّ القَيُّومُ﴾ رواه أحمد وأبو داودَ والترمذيُّ وابنُ ماجَه، وقال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٤ - عن سعدِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: هل أدلكم على اسمِ الله الأعظمِ، الذي إذا دُعيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أعطَى؟ الدعوةُ التي دعا بها يونُسُ حيث نادَى في الظلمات الثلاث(١): ﴿لَا إلهَ إلَّا أنتَ، سُبْحَانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فقالَ رجلٌ: يا رسولَ الله هل كانتْ ليونُسَ خاصة أم للمؤمنين عامةً؟ فقال رسولُ الله ﷺ: ألا تسمعُ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ من الغَمِّ وكَذلكَ نُنْجِي المؤمنينَ﴾ رواه الحاكم.

فأنت ترى من هذه الأحاديثِ ومن غيرها أنها لم تعينْ الاسمَ الأعظمَ بالذاتِ، وأنّ العلماءَ مختلفون في تعيينه لاختلافهم في ترجيح الأحاديث بعضها على بعض، حتى

---

(١) ﴿في الظلمات الثلاث﴾ ظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر.

اختلفوا على نحو الأربعين قولاً. والذي نأخذُه من هذه الأحاديث الشريفة، ومن أقوالِ الثِّقاتِ من رجالِ الله، أنَّ الاسمَ الأعظمَ دعاءٌ مركبٌ من عدة أسماء من أسمائه تعالى إذا دعا به الإنسانُ، مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعاً استجاب الله له، وقد صرَّحَتْ به الأحاديثُ الشريفةُ في عِدَّة مواضع.

وإذا تقرر هذا، فما يدَّعيه بعضُ الناس من أنه سرٌّ من الأسرارِ يمنح لبعض الأفراد، فيفتحون به المغْلَقات، ويخرقون به العادات، ويكونُ لهـم به من الخواصِّ ما ليس لغيرهم من الناس، أمرٌ زائدٌ على ما ورد عن رسوله. وإذا احتجَّ هؤلاء البعض بالآيةِ الكريمة وهي قوله تعالى ﴿قالَ الّذي عنده علمٌ من الكتابِ أنا آتيك به قبلَ أن يرتَدَّ إليك طرفُك﴾ النمل. على القول بأن معنى: ﴿عِنْدَه علمٌ من الكتابِ﴾ أنه اسمُ الله الأعظمُ، نقول لهـم: قد صرَّح المفسرون بأن ذلك المدعوَّ به كان: يا حَيُّ يا قَيُّومُ، أو: الله لا إلهَ إلّا هو الحَيُّ القَيُّومُ. وادعى بعضُهم أنه سرياني لفظه (آهيا شراهيا)، وهي دعوى بغير دليلٍ، فلم يخرج الأمرُ عما ورد في الأحاديثِ الصحيحة.

وخلاصةُ البحثِ أن بعضَ الناسِ ولِعوا بالمعميَّاتِ وادعاء الخصوصياتِ، والزيادةِ في المـأثوراتِ، فقالوا ما لم يرد في كتابٍ ولا سنةٍ، وقد نُهينا عن ذلك نهياً شديداً، فلنقف مع المـأثور.

صفات الله تعالى

١ – صفات الله تبارك وتعالى في نظر العقل:

أنت إذا نظرتَ إلى هذا الـكون وما فيه من بدائع الحِكَم، وغرائبِ المخلوق، ودقيقِ الصنع، وكبير الإحكام، مع العظمةِ والاتسـاعِ، والتناسقِ والإبداع، والتجدُّدِ والاختراعِ، ورأيتَ هذه السماءَ الصـافيةَ، بكواكبها وأفلاكها، وشموسها وأقمارها ومداراتها، ورأيتَ هذه الأرضَ بنَبَاتها وخيراتِها، ومعادِنها وكنوزِها وعناصرها وموادِّها، ورأيتَ عالَمَ الحيوانِ وما فيه من غريبِ الهداية والإلهـامِ، بل لو رأيتَ تركيبَ الإنسـان وما احتواه من أجهزة كثيرةٍ، كلّ يقومُ بعملِه، ويؤدي وظيفتَه،

ورأيتَ عالم البحار وما فيه من عجائبَ وغرائب، وعرفتَ القُوَى الكونيةَ وما فيها من حكم وأسرارٍ، من كهرباء، ومغناطيس وأثير وراديوم، ثم انتقلتَ من النظر إلى ذواتِ العالَمِ وأوصافها، إلى الروابط والصِّلاتِ فيما بينها، وكيفَ أنّ كلاً منها يتصلُ بالآخر اتصالاً محكماً وثيقاً، بحيث يتألفُ من مجموعها وحدة كونية كلّ جزءٍ منها يخدم الأجزاءَ الأخرى، كما يخدم العضوُ في الجسم الواحدِ بقيةَ الأعضاءِ، لخرجت من كلِّ ذلك، من غيرِ أن يأتيك دليلٌ أو برهانٌ، أو وَحْيٌ أو قرآنٌ، بهذه العقيدةِ النظريةِ السهلةِ وهي: أن لهذا الكونِ خالقاً صانعاً موجداً، وأن هذا الصانعَ لا بد أن يكونَ عظيماً فوق ما يتصور العقلُ البشريُّ الضعيفُ من العظمةِ، وقادراً فوقَ ما يفهم الإنسانُ من معاني القدرةِ، وحيّاً بأكملِ معاني الحياةِ، وأنه مستغنٍ عن كلِّ هذه المخلوقات؛ لأنه كان قبل أن تكون، وعليماً بأوسع حدودِ العلم. وأنه فوق نواميس هذا الكونِ لأنه واضعها، وأنه قبل هذه الموجودات لأنه خالقُها، وبعدَها لأنه الذي سيحكم عليها بالعدم. وإجمالاً سترى نفسَك مملوءاً بالعقيدةِ بأن صانعَ هذا الكون ومدبِّرهُ متصفٌ بكلِّ

صفاتِ الكمالِ فوق ما يتصورُها العقلُ البشريُّ الصغيرُ، ومنزّهٌ عن كلِّ صفاتِ النقصِ، وسترى هذِه العقيدةَ وحْيَ وجدانِك لوجدانك، وشعورَ نفسك لنفسك: ﴿فِطْرَةَ الله التِي فطرَ النّاس عليها لا تَبْديل لخلْقِ الله ذلك الدِّينُ القيِّم﴾ الروم.

ونسوقُ إليكَ بعد هذه المقدمة بعضَ غرائبِ الحوادثِ في هذا الكوْن، وسترى أنها، على قلتها، بالنسبة لعظمةِ الكونِ وما فيه من دِقَّةٍ وإحكامٍ ستكون كافية لأن تشعر في نفسك بما قدّمتُ لك.

الملاحظة الأولى: هذا الهواء الذي نستنشقه مركبٌ من عدةِ عناصرَ، منها جزءان هامان: جزء صالح لتنفس الإنسان ويُسمَّى باصطلاح الكيميائيين الأوكسجين، وجزء ضار به ويُسمَّى الكربون. فمن دقائق الارتباط بين وحدات هذا الوجودِ المعجز أن هذا الجزء الضار بالإنسان يتنفسهُ النباتُ وهو نافع له، ففي الوقت الذي يكون الإنسان فيه يستنشقُ الأوكسجين ويطردُ الكربون يكون النباتُ يعملُ عكسَ هذه العملية، فيستنشقُ الكربون ويطرد الأوكسجين.

فانظر الى الرابِطة التعاونيَّةِ بين الإِنسـان والنبات في شيء هو أهمِ عناصر الحياة عندهما، وهو التنفس. وقل لي، بعد ذلك، هل يفعل هذا في الـكون العظيمِ غيرُ عظيمِ قادرٍ واسعِ العلمِ، دقيق الحكمةِ؟.

الملاحظة الثانية: أنتَ تأكلُ الطعامَ وهو يتركبُ من عدةِ عناصرَ نباتية أو حيوانية، يقسمُها العلماءُ إلى مواد زُلاليةٍ، أو نشَويَّةٍ، أو دُهنيَّة، مثلاً، فترى أن الريقَ يهضمُ بعضَ المواد النَشوية، ويذيبُ المواد السكريةَ ونحوَها مما يقبلُ الذوبانَ، والمعدةَ يهضمُ عصيرُها الموادَّ الزُّلاليةَ كاللحمِ وغيرِه، والصفراء المنفرزةَ منِ الـكبدِ تهضم الدّهنيات، وتُجزئها إلى أجزاء دقيقة يمكن امتصـاصها، ثم يأتي البنكرياسُ بعد ذلك فيُفرزُ أربعَ عُصـارات تتولى كل واحدة منها تميم الهضم في عنصر من العناصر الثلاثة: النشوية أو الزلالية أو الدهنية، والرابعةُ تحوِّل اللبن إلى جُبن. فتأمل هذا الارتباطَ العجيبَ بين عناصر الجسم البشريِّ، وعناصر النبات والحيوان والأغذيةِ التي يتغذى بها الإِنسـانُ!.

الملاحظة الثالثة : ترى الزهرةَ في النبات فترى لها أوراقاً جميلةً جذّابةً ملونةً بألوانٍ بهيجة ، فإذا سألت علماءَ النبات عن الحكمة في ذلك ، أجابوك بأن هذا إغواء للنحل وأشباهه من المخلوقات التي تمتص رحيقَ الأزهارِ لتسقط على الزهرة ، حتى إذا وقفت على عيدانها علقت حبوب اللقاحِ وانتقلتْ من الزهرةِالذكرِ على الزهرةِ الأنثى فيتم التلقيح . فانظر كيف جعلت هذه الأوراقُ الجميلةُ في الزهرة حلقة اتصال بين النبات والحيوان حتى يستخدم النباتُ الحيوانَ في عملية التلقيح الضروريةِ للإثمار والإنتاج ! .

كل ما في الكون ينبئك بوجودِ حكمةٍ عاليةٍ ، وارادةٍ ساميةٍ ، وسيطرةٍ قويةٍ ، ونواميس في غايةِ الدِقةِ والإِحكام يسير عليها هذا الوجود . ورَبُّ هذهِ الحكمةِ ، وصاحبُ هذه العظمةِ ، وواضعُ هذه النواميس هو : الله .

وقد أفاضَ القرآنُ في ذلك ، وفي لفتِ الأنظارِ إلى هذه الحكمِ البارعةِ ، والأسرارِ العاليةِ ، فلا تكاد تخلو سورةٌ من سورهِ من ذكر آلاء الله ونعمه ، ومظاهر قدرته وحكمتهِ ، وحثِّ الناسِ على تجديد النظر في ذلك ، ودوام التفكرِ فيه .

قال تعالى: ﴿ومنْ آياتهِ[1] أنْ خَلَقَكُمْ من ترابٍ، ثمَّ إذا أنتمْ بَشَرٌ تنتشرونَ. ومنْ آياتهِ، أنْ خلقَ لكُم منْ أنفُسكمْ أزْواجاً لتَسكُنوا إليها وجعلَ بينكُمْ مودَّةً ورَحمةً، إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يَتفكَّرُونَ. ومنْ آياتهِ، خلقُ السمواتِ والأرضِ، واختلافُ ألْسنتكمْ وألوانكُمْ[2]؛ إنَّ في ذلك لآياتٍ للعالِمِينَ[3]. ومنْ آياتِه منامُكُمْ بالليلِ والنهارِ، وابتغاؤكم منْ فَضلِهِ[4]؛ إنَّ في ذلك لآياتٍ لِقومٍ يسمعونَ. ومنْ آياتِه يُريكُم البَرْقَ خَوْفاً وطمعاً[5]، ويُنزِّلُ من السماءِ ماءً فيُحيي بهِ الأرْضَ بعد موتِها، إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِقَومٍ يَعقلونَ﴾[6].

---

(١) ﴿ومن آياته﴾، اي ومن آيات الله تبارك وتعالى الدالة على قدرته. ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾: أي تنتشرون في الأرض تتصرفون فيما هو قيام معايشكم.

(٢) ﴿واختلاف السنتكم وألوانكم﴾، أي اختلاف لغاتكم من عربية وعجمية وغيرهما، واختلاف ألوانكم من بياض وسواد وغيرهما وأنتم اولاد رجل واحد وامرأة واحدة.

(٣) ﴿إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ بفتح اللام وكسرها، أي ذوي العقول وأولي العلم.

(٤) ﴿وابتغاؤكم من فضله﴾: أي تصرفكم في طلب المعيشر بإرادته ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾، أي سماع تدبر واعتبار.

(٥) ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾: أي خوفاً للمسافر من الصواعق وطمعاً للمقيم في المطر.

(٦) سورة الروم آية ٢٤.

وقال تعالى: ﴿اللهُ الذي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثيرُ سحاباً[1] فيبسطُه في السَّماءِ كيفَ يشاءُ، وَيجعلهُ كِسَفاً، فترى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ، فإذا أصابَ بِهِ مَنْ يشاءُ مِنْ عِبادِه إذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وإنْ كانوا منْ قبلِ أنْ يُنَزَّلَ عليهم من قبلِهِ لمبْلِسِينَ. فانْظر إلى آثار رحمةِ الله كيفَ يُحْيِي الأرضَ بعدَ مَوْتِها، إنَّ ذلكَ لَمحيي الموتَى، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾[2].

وغيرُ ذلك كثيرٌ في سورةِ الرَّعْدِ، والقَصَصِ، والأنبياء، والنملِ، و قَ وغيرها من سورِ القرآنِ الكريم.

٢ - مجمل صفات الله في القرآن:

أشارت آياتُ القرآنِ الكريمِ إلى بعضَ الصفاتِ الواجبةِ لله تعالى، والتي يقتضيها كمالُ الألوهيةِ. وإليك بعضَ هذهِ الآياتِ الكريمةِ:

---

(١) ﴿فتثير سحاباً﴾: أي تزعجه ﴿ويجعله كسفاً﴾: أي قطعاً متفرقاً ﴿فترى الودق﴾: أي المطر. ﴿يخرج من خلاله﴾: أي من وسطه. ﴿إذا هم يستبشرون﴾: أي يفرحون بنزول المطر عليهم. ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليه من قبله لمبلسين﴾: أي ليائسين من نزوله.

(٢) سورة الروم آية ٥٠.

وجود الله تعالى :

١ - **قال الله تعالى :** ﴿اللهُ الذي رفعَ السموات بغيرِ عمدٍ ترونها ، ثُمَّ استوى على العرشِ ، وسَخَّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجَلٍ مسمىً ، يُدَبِّرُ الأمْرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ . وهُوَ الذي مَدَّ الأَرْضَ[١] ، وَجعلَ فِيها روَاسي ، وأنهاراً ومنْ كُلِّ الثمراتِ جعَل فيها زَوْجينِ اثنين[٢] ، يُغْشي اللَّيْلَ النهارَ ؛ إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتفكَّرُونَ . وفي الأرضِ قِطَعٌ مَتَجاوراتٌ ، وجنَّاتٌ مِنْ أعْنابٍ وزَرْعٌ وَنَخيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ[٣] يُسْقَى بماءٍ واحِدٍ ، ونُفَضِّلُ بعضها على بعضٍ في الأُكلِ[٤] إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلونَ﴾ . وقال تعالى : ﴿وهُوَ الذي أنْشَأَ لَكمُ السمعَ والأبصارَ والأفئدَةَ قليلاً ما تشكرون ، وهو الذي ذرأكُمْ[٥] في الأرضِ وإليهِ تُحْشرونَ ، وهو

---

(١) ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ ، أي بسطها طولاً وعرضاً . ﴿وجعل فيها رواسي﴾ ، أي جبالاً ثوابت .

(٢) ﴿جعل فيها زوجين اثنين﴾ ، أي من كل نوع ﴿يغشي الليل والنهار﴾ ، أي يغطي الليل بظلمته النهار .

(٣) ﴿ونخيل صنوان وغير صنوان﴾ : جمع صنو وهو ، النخلة والنخلتان يجمعهن أصل واحد وتتشعب منه رؤوس فتصير نخلاً .

(٤) ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ . الأكل : الثمر ، يعني الحلو والحامض ، وهو من دلائل قدرة الله تعالى . سورة الرعد آية ٤ .

(٥) ﴿وهو الذي ذرأكم﴾ ، أي خلقكم . ﴿واليه تحشرون﴾ : أي تجمعون يوم القيامة للجزاء

الذي يُحْيي ويميتُ، ولهُ اختلافُ الليلِ والنّهارِ أفلا تَعقِلونَ﴾[١].

فكلٌّ هذه الآياتِ تنبئُكَ بوجودِ الله تبارك وتعالى، وتستدل عليه بما ترى من تصرفاتِهِ في شؤون هذا الكونِ العجيب.

قدم الله تعالى وبقاؤه:

٣٠٢ - **قال الله تعالى:** ﴿هو الأوّل والآخِرُ[٢]، والظاهِرُ والباطِنُ، وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿ولا تَدْعُ مع الله إلهاً آخرَ، لا إله إلّا هو، كلُّ شيءٍ هالِكٌ إلّا وجهَهُ، له الحكم وإليهِ تُرْجعونَ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿كلُّ مَنْ عليها فانٍ، ويبقَى وجْهُ ربِّك ذو الجلالِ والإكرام﴾[٤].

وفي هذه الآياتِ الكريمةِ إشارةٌ إلى صِفَتَي القِدَم، والبقاءِ لله تبارك وتعالى.

---

(١) سورة المؤمنون آية ٨٠.

(٢) ﴿هو الأول﴾، أي قبل كل شيء بلا بداية ﴿والآخر﴾ بعد كل شيء بلا نهاية ﴿والظاهر﴾ بالأدلة عليه ﴿والباطن﴾ عن إدراك الحواس. سورة الحديد آية ٣.

(٣) سورة القصص آية ٨٨.

(٤) سورة الرحمن آية ٢٧.

٤ - قال الله تعالى: ﴿قل هو الله أحدٌ، الله الصَّمدُ[1] لم يَلد ولم يُولدْ، ولم يكن له كُفُواً أحدٌ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿فاطِرُ السمواتِ والأرضِ[3] جعلَ لكم من أنفُسِكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً، يذرَؤكم فيه، ليس كَمِثْلِه شيءٌ، وهو السميعُ البصيرُ﴾[4].

وفي ذلك إشارة إلى مخالفته تبارك وتعالى للحوادث من خلقِه، وتنزُّهِه عن الولد والوالد والشبيه والنظير.

قيام الله تعالى بنفسه:

٥ - قال الله تعالى: ﴿يأيها الناسُ أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغنيُّ الحميدُ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ما أشْهَدْتُهم خلْقَ

---

(١) ﴿الله الصمد﴾، أي المقصود في الحوائج على الدوام.

(٢) ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾، أي ولم يكن له أحد مكافئاً ومماثلاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. سورة الإخلاص.

(٣) ﴿فاطر السموات والأرض﴾، أي خالقهما على غير مثال سبق. ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾، أي حيث خلق حواء من ضلع آدم. ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾، أي ذكوراً وإناثاً.

(٤) سورة الشورى آية ١١.

(٥) سورة فاطر آية ١٥.

السمواتِ والأرضِ، ولا خلْقَ أنفُسهم(١)، وما كنتُ متَّخذَ المضِلّينَ عَضُداً﴾(٢).

وفي ذلك إشـارة إلى قيامِه تعالى بنفسه واستغنائه عن خلقِه مع حاجتهـم إليه.

وحدانية الله تعالى:

٦ - **قال الله تعالى:** ﴿وقال الله: لا تَتَّخِذُوا إلٰهينِ اثنينِ إنما هو إلهٌ واحدٌ، فإيّايَ فارْهَبونِ(٣). وله ما في السمواتِ والأرضِ، وله الدِّينُ واصِباً(٤)، أفغَيرَ الله تَتقون. وما بكُمْ من نِعمةٍ فمن الله، ثم إذا مسَّكم الضرُّ فإليه تجأرون﴾(٥) وقال تعالى: ﴿لقد كفَر الذين قالوا: إنّ الله ثالِثُ ثلاثةٍ، وما مِنْ إله إلّا إلهٌ واحِدٌ، وإن لم يَنْتَهوا عما يقولونَ ليمَسَّنَّ الذين كفروا منهـم عذابٌ أليمٌ. أفلا يتوبونَ إلى الله ويستغفرونَه؟! والله

(١) ﴿ولا خلق أنفسهم﴾ أي لم أشهد بعضهم خلق بعض. ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾: أي أعواناً في الخلق.

(٢) سورة الكهف آية ٥١.

(٣) ﴿فإياي فارهبون﴾: أي خافون دون غيري.

(٤) ﴿وله الدين واصبا﴾، أي دائماً.

(٥) ﴿فإليه تجأرون﴾، أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون لغيره. سورة النحل آية ٥٣.

غفورٌ رحيمٌ﴾[١] . وقال تعالى : ﴿أمِ اتَّخَذُوا آلهةً من الأرضِ هُمْ يُنشِرونَ[٢] . لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا ، فسبحانَ الله ربِّ العرشِ عما يصفونَ . لا يُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألونَ . أم اتخذوا من دونِه آلهةً ؟! قل : هاتوا برهانكم ! هذا ذِكْرُ مَن مَعِيَ[٣] وذِكرُ مَنْ قَبْلِي ، بل أكثرُهم لا يعلمونَ الحقَّ فهم مُعْرِضونَ . وما أرسلنا من قبلِك من رسولٍ إلّا نوحي إليه أنّه لا إله إلا أنا فاعبدُونِ﴾[٤] . وقال تعالى : ﴿قل : لمنْ الأرضُ ومَن فيها إن كنتم تعلمونَ ؟ سيقولون : لله قل أفلا تَذَكَّرون ؟! قل : مَن ربُّ السمواتِ السبعِ وربُّ العرشِ العظيمِ ؟! سيقولونَ : لله . قل أفلا تتقونَ ؟! قل : مَنْ بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ[٥] وَهو يجير ولا يجارُ عليه إن كنتم تعلمونَ ؟!

(١) سورة المائدة آية ٧٤ .

(٢) ﴿هم ينشرون﴾ : أي يحيون الموتى ، ولا يكون إلهاً إلا من يحيي الموتى .

(٣) ﴿وهذا ذكر من معي﴾ : أي أمتي ، وهو القرآن . ﴿وذكر من قبلي﴾ من الأمم ، وهو التوراة والأنجيل وغيرهما من كتب الله تعالى ، ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً مما قالوا ، تعالى الله عن ذلك .

(٤) سورة الأنبياء آية ٢٥ .

(٥) ﴿من بيده ملكوت كل شيء﴾ : أي يملك كل شيء والتاء للمبالغة . ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾ أي يحمي ولا يحمى عليه .

سيقولون : لله . قل : فأنَّى تُسْحَرونَ(١) ؟! بل أتيناهم بالحقِّ وإنهم لكاذبونَ . ما اتخذ الله مِن ولَدٍ وما كان معه من إلٰهٍ ، إذاً لذهبَ كلُّ إلهٍ بما خلقَ(٢) ولعلا بعضُهم على بعضٍ ، سبحان الله عما يَصِفونَ . عالِمُ الغيبِ والشهادةِ فتعالى عما يُشركونَ﴾(٣) . وقال تعالى : ﴿قل : الحمدُ لله وسلامٌ على عبادهِ الذينَ اصطفى ، الله خيرٌ أمّا يُشركونَ . أمَّنْ خلقَ السمواتِ والأرض ، وأنزلَ لكم من السماءِ ماء فأنبتنا به حدائقَ ذاتَ بهجةٍ(٤) ما كان لكم أن تُنْبِتوا شجرهَا ، أإلهٌ مع الله؟! بل هم قوم يَعْدِلونَ . أمَّن جعلَ الأرضَ قَراراً(٥) ، وجعلَ خِلالَها أنهاراً ، وجعلَ لها رَواسي ، وجعلَ بين البحرينِ حاجزاً ، أإلَهٌ مع الله؟! بل أكثرُهم لا يعلمونَ . أمَّن يُجيبُ المضْطَرَّ إذا

---

(١) ﴿فأنى تسحرون﴾ ، أي تخدعون وتصرفون عن الحق وعبادة الله وحده ، أي كيف يخيل لكم أنه باطل .

(٢) ﴿إذاً لذهب كل إله بما خلق﴾ ، أي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ مغالبة كفعل ملوك الدنيا .

(٣) سورة المؤمنون آية ٩٢ .

(٤) ﴿فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾ جمع حديقة وهي البستان الذي عليه حائط . والبهجة ، الحسن والجمال .

(٥) ﴿أمَّن جعل الأرض قراراً﴾ : أي لا تميد بأهلها . ﴿وجعل لها رواسي﴾ : أي جبالاً اثبت بها الأرض . ﴿وجعل بين البحرين حاجزاً﴾ : أي بين العذب والمالح لا يختلط أحدهما بالآخر .

دَعاهُ[١] ، ويكشِفُ السوءَ، ويجعلُكم خُلفاءَ الارضِ[٢] ، أإلهٌ مع الله؟! قليلاً ما تَذَكرونَ. أمَّن يَهديكم في ظلماتِ البر والبحر[٣] ، ومَن يُرسِلُ الرّياحَ بُشراً بين يَدَيْ رحمتِه[٤] ، أإلهٌ مع الله؟.. تعالى الله عما يشركونَ. أمَّن يبدأ الخلقَ ثم يعيدُه، ومَن يرزقكُم مِن السماء والأرضِ، أإلهٌ مع الله؟! قل: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقينَ﴾[٥] .

إلى غير ذلك من الآياتِ، التي تثبتُ أنه تعالى واحدٌ في ذاتِه، واحدٌ في صفاتِه، واحدٌ في أفعالِه وتصرفاتِه، لا رب غيرُهُ، ولا إله سواه.

---

(١) ﴿أمَّن يجيب المضطر﴾، أي المكروب الذي مسه الضر. ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾، أي سكانها يهلك قوماً وينشئ آخرين.

(٢) ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾، أي يرشدكم إلى مقاصدكم بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً.

(٣) ﴿ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾، أي أمام المطر.

(٤) سورة النمل آية ٦٤.

قدرة الله تعالى:

٧ - قال الله تعالى: ﴿يأيها الناسُ إن كنتُم في ريبٍ من البَعْثِ فإنّا خلقناكُم من ترابٍ ثم من نُطْفَةٍ[١] ثم من عَلَقَةٍ ثمّ من مُضْغَةٍ مخلَّقةٍ وغيرِ مخلَّقةٍ، لنُبيّنَ لكم، ونُقِرُّ في الأرحامِ ما نشاء إلى أجل مُسَمّى، ثم نُخرجُكم طِفلاً، ثم لتبلغوا أشُدَّكم، ومنكم من يُتَوفى، ومنكم مَنْ يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُر لكيلا يعلَمَ من بعدِ علمٍ شيئاً، وترى الأرضَ هامدة فإذا أنزلْنا عليها الماءَ اهْتَزَّت ورَبَتْ وأنبتَتْ من كلِّ زوجٍ بهيجٍ، ذلك بأنّ الله هو الحقُّ، وأنّه يحيي الموتَى، وأنّه على كلُّ شيءٍ قديرٌ، وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنّ الله يبعثُ من في القُبورِ﴾[٢] . وقال تعالى: ﴿ما أشهدتُهم خَلْقَ السمواتِ والأرضِ ولا خَلْقَ أنفسِهم، وما كنتُ مُتَّخِذَ المضلّين

---

(١) ﴿فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة﴾، أي خلقنا آدم عليه السلام من تراب ثم خلقنا ذريته من نطفة من منّي ﴿ثم من علقة﴾ أي دم جامد ﴿ثم من مضغة﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾؛ أي مصورة تامة الخلق وغير تامة الخلق. ﴿ثم لتبلغوا اشدكم﴾، أي نعمركم لتبلغوا اشدكم، أي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة. ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾، اي أخسه من الهرم والخرف. ﴿وترى الأرض هامدة﴾؛ أي يابسة لا تنبت شيئاً. ﴿فإذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾، أي تحركت وارتفعت وزادت. ﴿وأنبتت من كل زوج بهيج﴾، أي من كل صنف حسن.

(٢) سورة الحج آية ٧.

عَضُداً﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ولقد خلقنا السمواتِ والأرضَ وما بينهما في ستة أيامٍ، وما مَسَّنا من لُغُوبٍ﴾(٢) . وقال تعالى : ﴿وهو الذي مَرَجَ البحرَيْنِ(٣) هذا عذبٌ فراتٌ . وهذا مِلحٌ أُجاجٌ ، وجعلَ بَيْنَهما بَرْزَخاً وحِجْراً مَحجوراً . وهو الذي خَلَقَ من الماءِ بشراً فجعله نَسَباً وصِهراً وكانَ ربُّك قديراً﴾(٤) . وقال تعالى : ﴿ألم تَرَ أن الله يُزجِي سَحاباً(٥) ثم يؤلِّف بينه ، ثم يجعلُه رُكاماً فترى الوَدْقَ يَخرجُ مِن خِلالِهِ ، ويُنَزِّلُ مِن السَّماءِ من جِبالٍ فيها من بَرَدٍ فَيصيبُ بِه مَنْ يَشاء ويَصرفه عَن مَنْ يَشاءُ يكادُ سَنا بَرقِه(٦) يَذْهَبُ بالأبصارِ ، يقلِّبُ الله الليل والنهار ، إنّ في ذلك لَعبرةً لأولي الأبصارِ .

---

(١) سورة الكهف آية ٥١ .

(٢) ﴿وما مسنا من لغوب﴾ ، أي تعب . سورة ق آية ٣٨ .

(٣) ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ ، أي أرسلهما متجاورين . ﴿هذا عذب فرات﴾ ، أي حلو شديد العذوبة . ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي شديد الملوحة . ﴿وجعل بينهما برزخاً ، أي حاجزاً لا يختلط أحدهما بالآخر . ﴿وحجراً محجوراً﴾ ، أي ستراً مستوراً يمنع أحدهما من الأختلاط بالآخر . ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ ، أي خلق من النطفة إنساناً ، قال القرطبي ، وفي هذه الآية تعديد النعمة على الناس في إيجادهم بعد العدم ، والتنبيه على العبرة في ذلك .

(٤) سورة الفرقان آية ٥٤ .

(٥) ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ ، أي يسوقه . ﴿ثم يؤلف بينه﴾ ، أي يجمعه ليقوى ويتصل ويكثف . ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ ، أي مجتمعاً يركب بعضه بعضاً . ﴿فترى الودق﴾ ، أي المطر .

(٦) ﴿يكاد سنا برقه﴾ ، أي لمعان برقه ﴿يذهب الأبصار﴾ الناظرة إليه ، أي يخطفها ﴿يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة﴾ ، أي دلالة ﴿لأولي الأبصار﴾ ، أي لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى .

والله خلَق كلَّ دابَّةٍ من ماء فمنهم مَن يمشي على بطنِهِ، ومنهُم منْ يمشي على رجلَين، ومنهم منْ يمشي على أربعٍ، يخلقُ الله ما يشاء، إنّ الله على كلِّ شيء قَديرٌ﴾(١).

إلى غير ذلك من الآياتِ الدالةِ على عظيمِ قدرتِه تبارك وتعالى وباهرِ عظمتِه.

إرادة الله تعالى:

٨ - **قال الله تعالى:** ﴿إنما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ لَهُ كُنْ فيكُونُ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿وإذا أردنا أنْ نُهلِكَ قريةً أمَرْنا مُتْرَفيها(٣) فَفَسَقوا فيها فحقَّ عليها القولُ فدَمَّرْناها تدميراً﴾(٤).

وقال تعالى حكاية عن الخَضر في قصَّتِه مع موسَى عليهما السلام: ﴿فأرَادَ رَبُّكَ أن يبلُغَا أشُدَّهُما(٥) ويستخْرجَا كَنْزَهُما رحمةً من ربِّكَ، وما فعلته عن أمري، ذلكَ تأويلُ مَا لم

(١) سورة النور آية ٤٥.
(٢) سورة يس آية ٨٢.
(٣) ﴿أمرنا مترفيها﴾، اي منعميها بمعنى رؤسائها، اي أمرناهم بالطاعة على لسان رسلنا. ﴿فحق عليها القول﴾، اي بالعذاب ﴿فدمرناها تدميراً﴾، اي أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها.
(٤) سورة الإسراء آية ١٦.
(٥) ﴿فأراد ربك ان يبلغا أشدهما﴾، أي إيناس رشدهما. ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾، أي تطق صبراً عليه.

تَسْطِعْ عليهِ صبراً﴾[١]. وقال تعالى: ﴿يريدُ اللهُ ليُبَيِّنَ لكم[٢] ويَهْديكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قبلكم، ويتوبَ عليكم، واللهُ عليمٌ حكيمٌ. واللهُ يريدُ أن يتوبَ عليكم ويريدُ الذينَ يتَّبعون الشهواتِ أنْ لا تميلوا ميلاً عظيماً. يريدُ اللهُ أنْ يُخَفِّفَ عنكم وَخُلِقَ الإِنسانُ ضعيفاً﴾[٣].

إلى غير ذلك من الآياتِ الكريمةِ التي تشيرُ إلى إثباتِ إرادةِ الله تعالى وأنها فوقَ كلِّ إرادةٍ ومشيئةٍ. ﴿وَمَا تشاءونَ إلّا أنْ يشاءَ اللهُ﴾[٤].

علم الله تعالى:

٩ - قال الله تعالى: ﴿الحمدُ لله الذي لهُ ما في السمواتِ وما في الأرضِ وله الحمدُ في الآخِرةِ وهُوَ الحكيمُ الخبيرُ﴾.

---

(١) سورة الكهف آية ٨٢.

(٢) ﴿يريد الله ليبين لكم﴾، أي شرائع دينكم ومصالح أمركم. ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾، أي طرائق الذين من قبلكم من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتبعوهم.

(٣) سورة النساء آية ٢٦.

(٤) سورة الدهر آية ٢٠.

﴿يعلمُ ما يَلِجُ في الأرض[1] وما يخرجُ منها، وما ينزلُ مِنَ السماء وما يعرُجُ فيها، وهو الرحيمُ الغفورُ﴾[2] وقال تعالى: ﴿يعلمُ ما في السمواتِ والأرضِ ويعلمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعْلِنُونَ والله عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ﴾[3]. وقال تعالى حكاية عن لُقْمان في وصيَّتِهِ لابنه: ﴿يا بُنَيَّ إنها إنْ تَكُ مِثْقالَ حبَّةٍ من خَرْدَل فتكنْ في صخرةٍ أوْ في السمواتِ أو في الأرضِ يأتِ بها الله، إنَّ الله لطيفٌ خبير﴾[4]. وقال تعالى في حكاية ما وقع بين شُعَيْبٍ وقومهِ: ﴿قال الملأُ الذين استكبَروا من قومهِ: لَنُخْرجَنَّكَ يا شُعَيْبُ والذين آمنوا معكَ من قريتنا أو لَتعودُنَّ في مِلَّتِنا. قال أَوَلَوْ كُنَّا كارهينَ! قد افْتَرَيْنا على الله كذباً إن عُدنا في مِلَّتِكُمْ بعدَ إذْ نجَّانا الله مِنها، وما يكونُ لنا أن نعودَ فيها إلا أن يشاء الله رَبُّنا، وَسِعَ رَبُّنا كلَّ شيء عِلماً، على الله توكلنا ربنا افتح بينَنَا وبينَ قومنَا بالحقِّ[5] وَأَنْتَ خيْرُ

---

(١) ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾، أي يدخل فيها من ماء وغيره ﴿وما يخرج منها﴾ أي من نبات وغيره ﴿وما ينزل من السماء﴾ من رزق وغيره. ﴿وما يعرج فيها﴾: أي يصعد فيها من الملائكة وأعمال العباد.

(٢) سورة سبأ آية ٢.

(٣) ﴿والله عليم بذات الصدور﴾، أي بما فيها من الأسرار والمعتقدات. سورة التغابن آية ٤.

(٤) سورة لقمان آية ١٦.

(٥) ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾، أي احكم. سورة الأعراف آية ٨٨.

الفاتحين﴾ وقال تعالى: ﴿ألَمْ تَرَ أنَّ الله يعلمُ ما في السمواتِ، وما في الأرض ما يكونُ مِن نَجْوَى ثلاثةٍ إلا هو رابعُهم[١]، ولا خمسةٍ إلا هوَ سادسُهم، ولا أدْنَى من ذلك ولا أكثرَ إلا هوَ معهم إينما كانوا، ثم يُنَبئهم بما عملوا يومَ القيامةِ؛ إنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليم﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وما تكونُ في شأن وما تَتْلو منهُ مِنْ قرآنٍ، ولا تعملونَ مِنْ عَمَلٍ إلا كنَّا عليكم شُهوداً[٣] إذْ تُفِيضونَ فيه ومَا يَعْزُبُ عَن رَبِّكَ مِنْ مثقالِ ذَرَّةٍ في الأرضِ ولا في السماء، ولا أصغرَ مِن ذَلك ولَا أكبَر إلّا في كتابٍ مُبينٍ﴾[٤].

إلى غيرِ ذلك من الآياتِ الكثيرةِ الدالةِ عَلى سَعَةِ عِلْمِهِ تبارك وتعالى، وإحاطَتِهِ بكل شيء، قلَّ أو كثر، دقَّ أو عظُم.

---

(١) ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾، أي بعلمه.

(٢) سورة المجادلة آية ٧.

(٣) ﴿إلا كنا عليكم شهوداً﴾، أي نعلمه. ﴿إذ تفيضون فيه﴾، أي تأخذون فيه. ﴿وما يعزب عن ربك﴾، أي يغيب.

(٤) سورة يونس آية ٦١.

حياة الله تعالى :

١٠ - **قال الله تعالى :** ﴿الله لا إله إلا هو الحيُّ القيُّومُ[١] لا تَأْخُذهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ، لَهُ مَا في السَّموَاتِ وَمَا في الأرْضِ﴾[٢] . وقال تعالى : ﴿الٓمٓ الله لا إلٰهَ إلّا هُوَ الحيُّ القيُّومُ، نَزَّلَ عليكَ الكتابَ[٣] بالحقِّ مُصَدِّقاً لما بَينَ يديهِ وأنزلَ التَّوْراةَ والإنجيلَ مِنْ قَبْلُ هُدىً للناسِ، وأنزلَ الفُرْقان﴾[٤] . وقال تعالى : ﴿الله الذي جعلَ لكُم الأرضَ قراراً، والسماءَ بِنَاءً، وصَوَّرَكم فأحْسَنَ صُوَرَكم، ورَزَقَكُمْ مِنَ الطيِّباتِ، ذلِكم الله رَبُّكُم، فَتَبَارَكَ الله رَبُّ الْعَالمينَ. هُوَ الحيُّ لَا إلٰهَ إلَّا هُوَ، فادْعُوهُ مُخْلِصِين لهُ الدِّينَ، الحمدُ لله رَبِّ الْعَالمينَ﴾[٥] .

إلى غيرِ ذلك من آياتٍ كثيرةٍ تدل على أن الله تبارك وتعالى مُتَّصِفٌ بالحياةِ الكاملة التي ليس ثَمَّ أكمل منها.

---

(١) ﴿القيوم﴾، أي القائم بتدبير خلقه. ﴿لا تأخذه سنة﴾ السنة بكسر السين، النعاس.

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥.

(٣) ﴿نزل عليك الكتاب﴾، أي القرآن ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾، أي لما قبله من الكتب المنزله. ﴿وأنزل الفرقان﴾، أي الكتب الفارقة بين الحق والباطل.

(٤) سورة آل عمران آية ٤.

(٥) سورة غافر آية ٦٥.

سمع الله تعالى وبصره:

١١ – قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ[١] في زوجِها، وتشتكي إلى الله، والله يَسْمَعُ تحاوُركما، إنَّ الله سميعٌ بصير﴾. وقال تعالى: ﴿أرَأيْتَ الذي يَنْهى عَبْداً إذا صَلّى. أرَأيْتَ إنْ كانَ على الهُدَى أو أمَرَ بالتَّقْوَى. أرَأيْتَ إنْ كَذَّبَ وَتَوَلّى ألَمْ يَعْلَمْ بِأنَّ الله يَرَى﴾[٢]. وقال تعالى لموسى وهٰرون حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿إذْهَبا إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى. فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أوْ يَخْشَى. قال: رَبَّنَا إنَّنَا نَخَافُ أنْ يَفْرُط عَلَيْنا[٣] أو أنْ يَطْغَى. قال: لا تَخَافَا إنَّني معَكُما أسْمَعُ وَأرَى﴾ وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ[٤] وَمَا تُخْفِي الصَّدُورُ، والله يَقْضِي بالحقِّ والذين يَدْعونَ مِنَ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بشَيءٍ، إنَّ الله هُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾[٥].

---

(١) ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك﴾، أي تراجعك ﴿والله يسمع تحاوركما﴾، أي تراجعكما. سورة المجادلة آية ١.

(٢) سورة العلق آية ١٤.

(٣) ﴿قالا، ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾، أي يعجل بالعقوبة. ﴿أو أن يطغى﴾ علينا، أي يتكبر. سورة طه آية ٤٦.

(٤) ﴿يعلم خائنة الأعين﴾، أي بمسارقتها النظر إلى محرم. ﴿وما تخفي الصدور﴾، أي القلوب.

(٥) سورة غافر آية ٢٠

إلى غير ذلك من الآيات التي تدلُّ على اتصافه تبارك وتعالى بالسمع والبصر.

كلام الله تعالى:

١٢ - قال الله تعالى: ﴿وكلَّمَ الله موسى تكليماً﴾[١] وقال تعالى: ﴿أفَتَطْمَعُونَ أنْ يُؤْمِنُوا لكم وقد كان فَرِيقٌ منهم يَسْمَعُونَ كلام[٢] الله ثم يُحَرِّفُونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمونَ[٣]﴾. إلى غير ذلك من الآيات التي تدلُ على اتصافه تبارك وتعالى بصفة الكلام.

صفات الله لا تتناهى:

وصفاتُ الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم كثيرةٌ، وكمالاتُه تبارك وتعالى لا تتناهَى، ولا تدرِك كُنْهَها عقولُ البشر، سبحانَه لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثْنَى على نفسِه.

---

(١) سورة النساء ١٦٤.

(٢) ﴿يسمعون كلام الله﴾، أي التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ أي يغيرونه. ﴿من بعد ما عقلوه﴾، أي فهموه.

(٣) سورة البقرة آية ٧٥.

بين صفات الله وصفات الخلق:

والذي يجب أن يتفطَّنَ له المؤمنُ أن المعنى الذي يُقْصَدُ باللفظِ في صفاتِ الله تبارك وتعالى يختلفُ اختلافاً كلياً عن المعنى الذي يقصد بهذا اللفظ عينه في صِفات المخلوقين. فأنتَ تقولُ: الله عالم والعلم صفة لله تعالى، وتقولُ: فلانٌ عالمٌ والعلمُ صفة لفلان من الناس، فهل ما يقصدُ بلفظة العلمِ في التركيبين واحد؟ حاشا أن يكون كذلك؛ وإنما عِلْمُ الله تبارك وتعالى علم لا يتناهَى كمالُه ولا يُعَدُّ علمُ المخلوقين شيئاً إلى جانبه. وكذلك الحياة وكذلك السمع، وكذلك البصر، وكذلك الكلام، وكذلك القدرة والإِرادة. فهذه كلها مدلولاتُ الألفاظِ فيها تختلفُ عن مدلولاتها في حق الخلقِ مِن حيثُ الكمالُ والكيفيةُ اختلافاً كلِّيًا؛ لأنه تبارك وتعالى لا يشبه أحداً من خلقِه. فتفطَّن لهذا المعنى فإنه دقيق. ولستَ مطالباً بمعرفةِ كُنْهِها، وإنما حسبُك أن تعلم آثارَها في الكون ولوازمَها في حقِّك. والله نسألُ العصمةَ من الزللِ وحسنَ التوفيقِ.

الأدلة العقلية والمنطقية على إثبات صفات الله تعالى :

يعمد علماء العقائِد إلى إثباتِ صفاتِ الله تبارك وتعالى بأدلةٍ عقليةٍ ، وأقيسةٍ منطقيةٍ ؛ ونحن نقولُ : إن ذلك حسنٌ ، لأن العقلَ أساسُ المعرفةِ ، ومناطُ التكليفِ ، وحتى لا يكونَ في نفسِ أحدٍ أثرٌ من آثارِ الشُّبُهاتِ والاباطيلِ ؛ ولكن الأمرَ أوضحُ من ذلك . ووجودُ الخالقِ تبارك وتعالى وإثباتُ صفاتِ الكمال المطلقِ له صار في حكم البدهيات التي لا يُحْتَاجُ في إثباتِها إلى دليل أو برهانٍ ، ولا يطالِب بالدليل عليها إلا كل مكابرٍ مريضِ القلب لا يُجْدِيه دليلٌ ، ولا تنفع معه حُجَّةٌ ؛ ومع هذا فتتميماً للفائدةِ نذكر بعضَ الأدلةِ العقليةِ الإجماليةِ والتفصيليةِ ، فنقولُ :

الدليل الأول : هذا الوجودُ الذي يدل بعظمتِه على وجود خالقِه وعظمتِه وكمالِه .

الدليل الثاني : أن فاقدَ الشيء لا يعطيه . فإذا لم يكن موجِدُ هذا الكونِ متصفاً بصفاتِ الكمالِ فكيف تكونُ آثارُ هذه الصفات في مخلوقاتِه .

الدليل الثالث: وهو خاصٌ بأن هذا الخالقَ واحدٌ لا يتعدد: إن التعدُّد مدعاةُ الفســادِ والخلافِ والعلوّ ولا سيما وشـأنُ الألوهية الـكبرياءُ والعظمةُ؛ وأيضـاً فلو استقل أحدُ المتعددين بالتصرفِ تعطلتْ صفاتُ الآخرين، ولو اشتركوا تعطلت بعضُ صفاتِ كل منهـم، وتعطيلُ صفات الألوهيَّة يتنافَى مع جلالِهـا وعظمتِها، فلا بد أن يكون الإله واحداً لا رب غيره.

هذه نماذج من الأدلة المنطقِيَّة على وجودِ الخالقِ، وإثباتِ صفاتِه. ومن أراد الإستيعابَ فعليه بالمطولاتِ. على أن الأمرَ مركوزٌ في فِطَرِ النفوسِ الصـافيَة، مستقِرٌ في أعماقِ القلوبِ السليمةِ ﴿ومَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله له نُوراً فمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

سؤال يقف أمامه كثير من الناس:

وردَ في حديثٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يزالُ الناسُ يتسـاءلونَ حتى يُقالَ هذا: خلقَ الله الخلْقَ فمَن خلقَ الله؟ فمَن وجدَ مِن ذلك شيئاً فليَقل:

آمنتُ بالله[١] » رواهُ مسلمٌ.

وهذا السؤالُ وإن كان خطأ من أساسِه، لأننا أُمرنا ألّا نبحثَ في ذاتِ الله تبارك وتعالى، لأن عقولَنا القاصرةَ التي تعجز عن إدراك حقيقةِ نفسِها تعجزُ من باب الأولى، عن إدراكِ حقيقةِ ذاتِ الله تبارك وتعالى، إلا أنه يختلج في نفوسِ بعضِ الناس، ونريدُ أن نوضِّحَ لهم الجوابَ عليه بمثالٍ يريحُ ضمائرَهم، إن شاء الله تعالى، فنقول:

إذا وضعتَ كتاباً على مكتبِك ثم خرجتَ من الحجرة وعدتَ إليها بعد قليل فرأيت الكتابَ الذي تركتَه على المكتب موضوعاً في الدرج، فإنك تعتقدُ تماماً أن أحداً لا بد أن يكون قد وضعه في الدرج، لأنك تعلم من صفاتِ هذا الكتاب أنه لا ينتقل بنفسه. احفظ هذه النقطة وانتقل معي إلى نقطةٍ أخرى: لو كان معك في حجرةِ مكتبِك شخص

---

(١) قال الإمام المازري: ظاهر الحديث انه ﷺ أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر في إبطالها. قال، والذي يقال في هذا المعنى أن الخواطر على قسمين، فأما التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة، فكأنه لما كان أمراً طارئاً وبغير أصل دفع بغير نظر في دليل، إذ لا أصل له ينظر فيه. وأما الخواطر المستقرة التي اجتلبتها الشبهة فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر في إبطالها، والله أعلم.

جالسٌ على الـكرسيِّ ثم خرجتَ وعدتَ إلى الحجرةِ فرأيتَه جالساً على البِسـاطِ مثلاً فإنك لا تسـألُ عن سببِ انتقالهِ ، ولا تعتقدُ أن أحداً نقله من موضعِه ؛ لأنك تعلم من صفاتِ هذا الشخصِ أنه ينتقلُ بنفسِه ولا يحتاج إلى من ينقله . احفظ هذه النقطة الثانية ثم اسمع ما أقولُ لك : لما كانت هذه المخلوقاتُ مُحْدَثَةً ونحن نعلم من طبائِعها وصفاتِها أنها لا توجدُ بذاتِها بل لا بد لها من موجِدٍ . عرفنا أن موجِدَها هو الله تبارك وتعالى ؛ ولما كان كمالُ الألوهيَّة يقتضي عدم احتياج الإِلٰه إلى غيرِه ، بل إن من صفاتِه قيامَه بنفسِه ، عرفنا أن الله تبارك وتعالى موجود بذاتِه ، وغيرُ محتاجٍ إلى من يوجِدُه . وإذا وضعت النقطتين السـابقتين إلى جانبِ هذا الـكلام ، اتّضح لك هذا المقام ، والعقلُ البشريُّ أقصرُ من أن يتورّطَ في أكثرَ من ذلك . والله نسـألُ العِصْمةَ من الزللِ ؛ إنه رؤوف رحيم .

وإليك أقوالَ علماء الأوربيين في إثباتِ وجود الله تعالى والإِقرار بكمالِ صفاتِه ، والله وليُّ توفيقِنا وتوفيقك :

كلام العلماء الطبيعيين
في إثبات وجود الله وصفاته :

قدمنا لك أن هذه العقيدةَ فطرية في النفوس السليمة، مستقرة في الأذهان الصافية، تكاد تكون من بدهيّاتِ المعلوماتِ، تؤيدها نتائجُ العقولِ جيلاً بعد جيلٍ، ولذلك اعتقدها علماءُ الكونِ من الأوربيينَ وغيرِهم وإن لم يتلقوها عن دينٍ من الأديانِ، وسننقلُ لك بعضَ شهاداتِهم، لا تأييداً للعقيدةِ، ولكن إثباتًا لاستقرارِها في النفوسِ، وقطعاً لألسنةِ الذينَ يريدونَ أن يتحلّلوا من رباطِ العقائِد، ويخادعوا ضمائرَهم وأرواحَهم بالباطلِ.

١ - قال ديكارت العالِم الفرنسي :

«إني مع شعوري بنقص ذاتي أحسُّ في الوقت نفسه بوجوبِ وجودِ ذاتٍ كاملةٍ، وأرَاني مضطراً للاعتقادِ بأن هذا الشعورَ قد غرسَتْه في ذاتي تلك الذاتُ الكاملةُ المتحليةُ بجميعِ صفاتِ الكمالِ، وهي : الله» .

فهو يثبتُ في كلامِه هذا ضعفَ نفسِه ونقصَها، ووجودَ الله وكمالَه، ويعترفُ بأن شعورَه وإحساسَه هبةٌ من الله له وفِطْرةٌ فيه ﴿فِطْرَةَ الله التي فطَر الناسَ عليها﴾[1].

٢ - وقال إسحاق نيوتن العالِم الإنجليزيُّ الشهير، ومكتشفُ قانونِ الجاذبيةِ:

«لا تشكوا في الخالِق فإنه مما لا يعقلُ أن تكون المصادفاتُ وحدَها هي قائدةَ هذا الوجودِ».

٣ - وقال هرشل الفلكيّ الإنكليزيّ:

«كلما اتسع نطاقُ العِلم ازدادت البراهينُ الدامغةُ القويةُ على وجودِ خالقٍ أزليّ لا حدَّ لقدرتِه ولا نهاية؛ فالجيولوجيونَ والرياضيونَ، والفلكيونَ، والطبيعيونَ قد تعاونوا على تشييدِ صرحِ العلمِ، وهو صرحُ عظمةِ الله وحدَه».

(١) سورة الروم آية ٣٠.

٤ – وقال لينيه، كما نقله عنه كاميل فلامريون الفرنسي في كتابهِ المسمَّى «الله في الطبيعة»:

«إن الله الأزليَّ الأبديَّ العالِمَ بكل شيء والمُقْتَدِرَ على كل شيءٍ، قد تجلىَّ لي ببدائِع صُنْعِهِ حتى صرتُ مندهشاً مبهوتاً؛ فأيُّ قدرةٍ وأيُّ حِكمةٍ وأيُّ إبداع أبدعَه في مصنوعاتِه! سواءٌ في أصغر الأشياء أو أكْبَرها! إن المنافعَ التي نستمدُّها من هذِه الكائناتِ تَشهدُ بعظمةِ رحمةِ الله الذي سَخَّرَها لنا، كما أن كمالَها وتناسُقَها يُنبئُ بواسِع حِكمتِه، وكذلك حفظُها عن التلاشي وتجدُّدها يقِرُّ بجلاله وعظمتِه».

٥ – ويقول «هربرت سبنسر الإِنجليزيُّ» في هذا المعنى في رسالته في التربية:

«العِلمُ يناقضُ الخُرافاتِ، ولكنهُ لا يناقضُ الدِّينَ. يوجدُ في شيء كثيرٍ من العِلم الطبيعيِّ الشائِع روحُ الزندقةِ، ولكن العلمَ الصحيحَ الذي تجاوز المعلوماتِ السطحيةَ، وزسبَ في أعماقِ الحقائقِ، براءٌ من هذه الروح. العلمُ الطبيعيُّ لا ينافي الدينَ، والتوجُّهُ للعِلم الطبيعيِّ عبادةٌ صامِتَةٌ واعترافٌ

صامِتٌ بنفاسةِ الأشياء التي تعايَن وتُدرسُ، ثم بقدرةِ خالِقها، فليس ذلك التوجهُ تسبيحاً شفهيًّا، بل هو تسبيحٌ عمليٌّ، وليس باحترامٍ مُدَّعىً، إنما هو احترامٌ أثمرتهُ تضحيةُ الوقتِ والتفكيرِ والعمل. وهذا العلم لا يسلك طريقَ الاستبداد في تفهيمِ الإنسانِ استحالةَ إدراكِ السببِ الأوَّلِ وهو «الله»، ولـكنهُ ينهجُ بنا النَّهجَ الأوضَحَ في تفهيمنا الاستحالةَ، بإبلاغِنا جميعَ أنحاء الحدودِ التي لا يستطاعُ اجتيازُها، ثم يقف بنا، في رفقٍ وهوادةٍ، عند هذه النهايةِ؛ وهو بعد ذلك يُرينا بكيفيةٍ لا تعادَلُ صِغَرَ العقلِ الإنسانيِّ إزاء ذلك يفوتُ العقلَ ...»

ثم أخذَ يضربُ الأمثلةَ على ما يقولُ فقال: «إنَّ العالِمَ الذي يرى قطرةَ الماء فيعلمُ أنها تتركبُ من الأوكسجين والإيدروجين بنسبةٍ خاصةٍ، بحيث لو اختلفت هذه النسبة لـكانت شيئاً آخرَ غيرَ الماء، يعتقدُ عظمةَ الخالِق وقُدْرَتَه وحكمتَه وعِلْمَه الواسعَ بأشدَّ وأعظمَ وأقوى من غير العالِمِ الطبيعيِّ الذي لا يرى فيها إلا أنها قطرة ماء فحسب، وكذلك العالِمُ الذي يرى قطعةَ البَرَد[1] فيرى تحتَ مجهرِهِ ما فيها من جمالِ الهندسةِ،

---

(١) أي قطعة الثلج الصغيرة النازلة مطراً.

ودقةِ التقسيمِ، لا شك أنهُ يشعر بجمالِ الخالِق ودقِيق حِكمتِه أكبَر من ذلك الذي لا يعلم عنها إلا أنها مطرٌ تجمَّدَ من شدةِ البَرْدِ» .

وأقوالُ علماء الكونِ في ذلك لا تقع تحت حصرٍ، وفيما ذكرناهُ الكفايةُ. وإنما استشهدنا بذلك حتى يعلمَ شبابُنا أن دينَهم مُؤَيَّدٌ من عِند الله تباركَ وتعالى، لا يزيدُه العِلمُ إلا قُوَّةً وثباتاً وتأييداً، مِصْداقاً لقولِ الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِم آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفسِهم حتى يَتَبَيَّنَ لهم أنهُ الحقُّ، أوَلَمْ يكْفِ بربِّكَ أنهُ على كل شيءٍ شهيدٌ﴾[1] .

آيات الصفات وأحاديثها:

وردت في القرآن الكريمِ آياتٌ وفي السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ أحاديثُ، تُوهِمُ بظاهِرِها مشابهةَ الحق تبارك وتعالى لخلقه في بعض صفاتِهم، نورِدُ بعضَها على سبيل المثالِ، ثم نُقَفِّي بذكر ما وردَ فيها من الأقوالِ. والله نسألُ أنْ يوفقنا إلى بيانِ وجهِ الحق في هذه المسألةِ، التي طال فيها جدَلُ الناسِ ونقاشُهم إلى

(١) سورة فصلت آية ٥٣.

هذا العصر ، وأن يُجَنِّبَنا الزلَلَ ، ويُلهمَنا الصَّوابَ ، وهو حسبنا ونعم الوكيلُ .

نماذج من آيات الصفات :

١ - **قال الله تعالى :** ﴿كلُّ من عليها فانٍ[١] ، ويَبقى وجهُ رَبِّك ذو الجلالِ والإكرامِ﴾ .

ومثلُها كل آيةٍ وردَ فيها لفظُ الوجهِ مضافاً إلى الحقِّ تبارك وتعالى .

٢ - **قال الله تعالى :** ﴿ولقد مَنَنَّا عليك مرةً أخرى ؛ إذْ أوحينا إلى أُمِّك ما يُوحَى : أن اقذفيه في التابوت فاقذِفيه في اليمِّ[٢] ، فلْيُلقِه اليمُّ بالساحل يأخذْهُ عدوٌّ لي وعدوٌّ له ، وألقيتُ عليك محبةً مني ، ولتُصْنَعَ عَلى عيني﴾ . وقال تعالى : ﴿وأوحِيَ إلى نوح أنه لن يؤمنَ من قومِك إلا مَن قد آمنَ فلا

---

(١) ﴿كل من عليها﴾ ، أي على الارض ﴿فان﴾ : أي هالك . ﴿ويبقى وجه ربك﴾ ، أي ذاته . قال الزمخشري : والوجه يعبَّر به عن الجملة والذات ، ومساكين مكة يقولون ، أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان . سورة الرحمن آية ٢٧ .

(٢) ﴿فاقذفيه في اليم﴾ ، أي في نهر النيل . ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ : أي بالشاطىء . ﴿ولتصنع على عيني﴾ : أي تربى على رعايتي وحفظي لك . سورة طه آية ٣٩ .

تبتَئس[١] بما كانوا يفعلونَ . واصنع الفلكَ بأعْيُنِنا ووحيِنا ، ولا تخاطِبْني في الذين ظلموا إنهم مُغْرقونَ[٢]﴾ .

ومثلُها كل آية ورد فيها لفظ العين مضافاً إلى الله تبارك وتعالى .

٣ - **قال الله تعالى :** ﴿إن الذينَ يبايعونَكَ[٣] إنما يبايعونَ اللهَ يَدُ اللهِ فوقَ أيديهم ، فمن نكثَ فإنما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِه ، ومن أوْفَى بما عاهدَ عليهُ اللهَ فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾ . وقال تعالى : ﴿وقالتِ اليهودُ يدُ اللهِ مغلولةٌ[٤] غُلَّتْ أيديهم ولُعِنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطَتانِ يُنفقُ كيف يشاءُ﴾ . ﴿أوَلمْ يَرَوْا أنَّا خلقنا لهم ممَّا عملتْ[٥] أيدينا أنعاماً فهم لها مالكونَ﴾ .

---

(١) ﴿فلا تبتئس﴾ أي فلا تحزن ﴿واصنع الفلك باعيننا﴾ ، أي بمرأى منا وحين نراك . وقال الربيع بن أنس : بحفظنا إياك حفظ من يراك . وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : بحراستنا .

(٢) سورة هود آية ٣٧ .

(٣) ﴿إن الذين يبايعونك﴾ ، أي بيعة الرضوان . ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ ، أي التي بايعوا بها النبي ﷺ : أي هو مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها . ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾ ، أي فمن نقض البيعة فإنما يرجع وبال نقضه على نفسه . سورة الفتح آية ١٠ .

(٤) ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ : أي مقبوضة عن إدرار الرزق علينا ، كنوا بذلك عن البخل تعالى الله عن ذلك . ﴿غلت أيديهم﴾ : أي امسكت عن فعل الخيرات . ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ ، مبالغة في الوصف بالجود ، وثني اليد لإفادة الكثرة ؛ إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيديه . سورة المائدة آية ٦٤ .

(٥) ﴿اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً﴾ ، أي أبدعناه وعملناه بلا شريك ولا معين . والأنعام هي الإبل والبقر والغنم . سورة يس آية ٧١ .

٤ - **قال الله تعالى:** ﴿لا يَتَّخِذِ المؤمنونَ الكافرينَ أولياءَ من دونِ المؤمنينَ، ومن يفعلْ ذلك فليس من الله في شيءٍ إلا أن تتَّقوا منهم تقاةً، ويحذِّرُكُمُ الله نفسَهُ[١] وإلى الله المصيرُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وإذ قال اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ أأنتَ قلتَ للناسِ اتخذوني وأُمِّيَ إلٰهينِ مِنْ دونِ اللهِ. قال: سبحانَكَ! ما يكونُ لي أن أقولَ ما ليس لي بحقٍ، إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسِك[٢]، إنك أنت علامُ الغيوبِ﴾.

٥ - **قال الله تعالى:** ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[٣].

ومثلُها كل آية نُسب فيها الأستواء على العرش إلى الله تبارك وتعالى.

---

(١) ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، أي يخوفكم الله إياه. آل عمران آية ٢٨.

(٢) ﴿وتعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك﴾: أي تعلم سري وما انطوى عليه ضميري الذي خلقته، ولا اعلم شيئاً مما استأثرت به من غيبك وعلمك. سورة المائدة آية ١١٦.

(٣) ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: العرش سرير الملك. واستوى قال ابو الحسن الأشعري وغيره، استوى على عرشه بغير حد ولا كيف كما يكون استواء المخلوقين. وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، يريد: خلق ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وبعد القيامة. طه آية ٥.

٦ - قال الله تعالى: ﴿وهو القاهرُ فوقَ عبادِهِ[١] ويرسِلُ عليكم حفَظةً حتى إذا جاء أحدَكُم الموتُ توفَّتْهُ رُسُلُنا وهم لا يفرِّطونَ﴾. وقال تعالى: ﴿أأمِنْتم مَن في السماءِ[٢] أن يَخْسِفَ بكُم الأرضَ فإذا هي تَمُورُ﴾. وقال تعالى: ﴿من كانَ يريدُ العزَّةَ فَللّهِ العزةُ جميعاً إليهِ يصعَدُ الكلِمُ[٣] الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفَعُه والذين يمكُرونَ السيِّئاتِ لهم عذابٌ شديدٌ، ومكرُ أولئك هو يَبورُ﴾.

مما يؤخذ منه نسبةُ الجهة لله تبارك وتعالى.

٧ - قال الله تعالى: ﴿إنَّ الذين يُؤذونَ اللهَ[٤] ورسولَه لعنهم اللهُ في الدنيا والآخرةِ، وأعدَّ لهم عذاباً مُهيناً﴾. وقال

---

(١) ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ قال القرطبي: القهر: الغلبة والقاهر الغالب. ومعنى ﴿فوق عباده﴾ فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم، أي هم تحت تسخيره لا فوقية مكان. كما تقول: السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة. ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾، أي ملائكة تحصي اعمالكم ﴿توفته رسلنا﴾: أي الملائكة الموكلون بقبض الأرواح. سورة الأنعام آية ٦١.

(٢) ﴿أأمنتم من في السماء﴾ أي أأمنتم من في السماء سلطانه وقدرته. قال القرطبي: وخص السماء وإن عم ملكه، تنبيهاً على أنه الإله الذي تنفذ قدرته في السماء لا من يعظمونه في الأرض ﴿فإذا هي تمور﴾، أي تذهب وتجيء. سورة الملك آية ١٦.

(٣) ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾، أي تبارك وتعالى، يصعد الكلم الطيب: أي يعلمه ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾: أي يرفعه الله: أي يقبله. والكلم الطيب: هو التوحيد الصادر عن عقيدة طيبة. ﴿ومكر اولئك هو يبور﴾، أي يهلك. سورة فاطر آية ١٠.

(٤) ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ هم الكفار يصفون الله تعالى بما هو متنزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله ﷺ. سورة الأحزاب آية ٥٧.

تعالى: ﴿ومريمَ ابنَةَ عِمْرانَ التي أحْصَنَتْ فرجَها فنفخنا فيه من رُوحِنا وصدَّقَتْ بكلماتِ رَبها وَكُتُبِهِ، وكانت من القانتين﴾[1]. وقال تعالى: ﴿كلَّا إذا دُكَّتِ الأرضُ دكًّا دكًّا. وجاءَ رَبُّكَ والملَكُ صفًّا صفًّا﴾[2].

نماذج من أحاديث الصفات:

وردت في الأحاديث الشريفة ألفاظٌ كالتي وردت في الآياتِ السابقةِ، منسوبةٌ إلى الله تبارك وتعالى: كالوجْهِ واليدِ، ونحوهما، فنكتفي بالآيات عن ذكرها؛ وورد في أحاديث كثيرةٍ ألفاظٌ أخرى من هذا القبيل منسوبةٌ إلى ذاتِ اللهِ تبارك وتعالى نوردُ بعضَها؛ فمن ذلك:

(١) ﴿التي احصنت فرجها﴾ أي حفظته عن الفواحش ﴿فنفخنا فيه﴾، أي أرسلنا جبرائيل فنفخ في جيبها ﴿من روحنا﴾ أي روحاً من أرواحنا وهي روح عيسى عليه السلام ﴿وصدقت بكلمات ربها﴾: أي بشرائعه ﴿وكانت من القانتين﴾، أي من المطيعين. سورة التحريم آية ١٢.

(٢) ﴿دكا دكا﴾، أي مرة بعد مرة وزلزلت فكسر بعضها بعضاً فتكسر كل شيء على ظهرها ﴿وجاء ربك﴾ أي أمره وقضاؤه ﴿والملك﴾ أي الملائكة ﴿صفاً صفاً﴾: أي صفوفاً. سورة الفجر آية ٢٢.

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنهُ عن النبيّ ﷺ قال: «خَلَقَ اللهُ آدمَ عَلى صورتهِ[(١)] طولُه ستون ذراعاً، فلما خلَقَه قال: اذهب فسلم عَلى أولئك - نفرٍ من الملائكةِ جلوسٍ - فاستَمِعْ ما يحيُونَك فإنها تحيَّتُك وتحيَّةُ ذريتك، فقالَ: السلامُ عليكم. فقالوا: السَّلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ، فزادوه ورحمةَ اللهِ، فكل من يدخلُ الجنةَ على صورةِ آدَم، فلم يزل الخلقُ ينقصُ بَعدُ حتى الآنَ» رواهُ البخاريُّ ومُسلمٌ.

٢ - عن أنسِ بن مالِكٍ رضي الله عنهُ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لا تزالُ جهنمُ يُلقَىٰ فيها وتقولُ: هل من مزيدٍ حتى يضعَ رَبُّ العِزَّةِ فيها قدمَه[(٢)] فينزوي بعضُها إلى بعضٍ، وتقولُ قط قط بعزّتك وكرمك، ولا يزالُ في الجنةِ فضلٌ حتى يُنْشِئَ اللهُ لها خَلقاً فيسكنهم فضل الجنةِ» رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ.

---

(١) «على صورته» أي على صورة آدم عليه السلام. قال الحافظ العسقلاني، المعنى أن الله تعالى أوجذ على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته، بل خلقه الله رجلاً كاملاً سوياً من أول ما نفخ فيه الروح.

(٢) «حتى يضع رب العزة فيها قدمه». قال الزمخشري: وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع فكأنه قال: يأتيها أمر الله فيكفها عن طلب المزيد فترتدع. وقوله ﷺ، «فينزوي بعضها الى بعض» أي ينقبض بعضها إلى بعض «وتقول قط قط»، أي تقول حسبي حسبي.

٣ - عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «للهُ أشَدُّ فَرَحاً[١] بتوبةِ أحَدِكم مِنْ أحَدِكم بضالَّتِهِ إذا وَجَدَهَا» رواهُ البخاريُّ ومسلم.

انقسم الناس في هذه المسألة على أربع فرق:

١ - فرقة أخذت بظواهرها كما هي، فنسبت إلى الله وجهاً كوجُوه الخلقِ، ويداً أو أيدِياً كأيْديهِمْ، وضحكا كضحكهم، وهكذا حتى فرضوا الإله شيخاً، وبعضهم فرضه شاباً، وهؤلاء هم المجسِّمة والمشَبِّهةُ، وليسوا من الإسلام في شيء، وليس لِقولهم نصيبٌ من الصحةِ، ويكفي في الردِّ عليهم، قولُ اللهِ تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[٢]. وقولُهُ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولَمْ يكُنْ لَهُ كُفُواً أحَدٌ﴾.

---

(١) «لله أشد فرحاً». قال النووي: قال المازري: الفرح ينقسم على وجوه: منه السرور، والسرور يقاربه الرضا بالمسرور به، فالمراد هنا ان الله تعالى يرضى بتوبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته، فعبّر عن الرضا بالفرح تأكيداً لمعنى الرضا في نفس السامع ومبالغة في تقريره.

ش (٢) سورة الشورى آية ١١.

٢ - فرقة عطّلت معاني هذِه الألفاظِ على أيِّ وَجْهٍ، يقصدونَ بذلك نفي مدلولاتِها مطلقاً عن الله تبارك وتعالى، فاللهُ تبارك وتعالى عندهم لا يتكلمُ ولا يسمعُ ولا يُبْصِرُ؛ لأن ذلك لا يكون إلا بجارحةٍ، والجوارِحُ يجبُ أنْ تُنْفَىٰ عنهُ سبحانه؛ فبذلك يعطِّلون صفات اللهِ تبارك وتعالى ويتظاهرون بتقديسِه، وهؤلاء هم المعطِّلةُ. ويطلِق عليهم بعضُ علماءِ تاريخ العقائدِ الإسلاميةِ: الجَهْمِيَّة، ولا أظن أن أحداً عندهُ مُسْكَةٌ من عقلٍ يستسيغ هذا القولَ المُتَهافِت! وها قد ثبتَ الـكلامُ والسَّمْعُ والبصرُ لبعض الخلائق بغير جارحةٍ، فكيفَ يتوقَّفُ كلامُ الحقِّ تبارك وتعالى على الجوارحِ؟! تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

هذان رأيان باطلانِ لا حظَّ لهما من النظرِ، وبقي أمامَنا رأيانِ هُما محلُّ أنظارِ العلماءِ في العقائدِ، وهما رأي السَّلَفِ ورَأي الخَلَفِ.

مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها

٣ - أما السَّلَفُ رضوان اللهُ عليهم فقالوا: نؤمِنُ بهذه الآياتِ والأحاديثِ كما وردت، ونتركُ بيانَ المقصودِ منها للهِ تبارك وتعالى، فهم يثبِتون اليد والعين والأعين والاستواءَ والضَّحِكَ والتعجبَ ... الخ وكلُّ ذلك بمعانٍ لا ندركُها. ونتركُ للهِ تبارك وتعالى الإِحاطةَ بعِلمها، ولا سيما وقد نهينا عن ذلك في قول النبي ﷺ: «تَفَكَّروا في خَلْقِ اللهِ ولا تتفكَّروا في اللهِ فإنكم لن تَقْدُروه قَدْرَهُ».

قال العِراقيُّ: رواهُ أبو نعيمٍ في «الحِلْيَةِ» بإسنادٍ ضَعِيفٍ، ورواهُ الأصبهَانيُّ في الترغيبِ والترهيبِ بإِسنادٍ أصحَّ منه، ورواهُ أبو الشيخ كذلك مع قطعهم رضوان اللهِ عليهم بانتفاء المشابهةِ بينَ اللهِ وبين الخلق. وإليك أقوالَهم في ذلك.

أ) روى أبو القاسم اللالِكائيُّ في «أصولِ السُّنة» عن محمدِ بنِ الحسنِ صاحبِ أبي حنيفةَ رضي الله عنهما قال: «اتفقَ الفقهاءُ كلُّهم من المشرقِ إلى المغربِ على الإِيمان

بالقرآن والأحاديثِ التي جاءت بها الثقاتُ عن رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلم في صفةِ الرَّبِّ عزَّ وجلّ من غير تفسيرٍ ولا وصفٍ ولا تشبيهٍ، فمن فسَّر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبيُّ ﷺ وفارق الجماعة؛ فإنهم لم يصفوا ولم يفسِّروا، ولكن أفتوا بما في الكتابِ والسنةِ ثم سكتوا» .

ب) وذكر الخَلّالُ في كتابِ «السُّنةِ» عن حنبلٍ وذكرهُ حنبلٌ في كُتُبه مثلَ كتابِ السُّنةِ والمحنةِ » قال حنبلٌ: «سألتُ أبا عبدِ اللهِ عن الأحاديثِ التي تروى «إن اللهَ تبارك وتعالى ينزلُ إلى سماءِ الدنيا» . و «إن الله يرى» و «إنّ اللهَ يَضَعُ قدمَه» وما أشبه هذه الأحاديث؟ فقال أبو عبدِ اللهِ: نؤْمِنُ بها ونُصَدِّقُ بها ولا كيف ولا معنى ولا نَرُدّ منها شيئاً، ونعلمُ أن ما جاءَ بهِ الرسول ﷺ حقٌّ إذا كان بأسانيدَ صِحاح، ولا نرد على اللهِ قولَه، ولا يوصف اللهُ تبارك وتعالى بأكثرَ مما وصف به نفسَه بلا حَدٍّ ولا غايةٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» .

ج) وروى حَرْملةُ بنُ يحيَىٰ قالَ: سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ وَهْبٍ يقولُ: سمعتُ مالكَ بنَ أَنَسٍ يقولُ: مَنْ وصف شيئاً من ذات اللهِ مثل قَوْله: ﴿وَقَالَتِ اليهُودُ يَدُ اللهِ مغلولَةٌ﴾

فأشـار بيده إلى عنقِه ، ومثل قوله ﴿وهُوَ السَّمِيعُ البصيرُ﴾ فأشـار إلى عينِه أو أُذُنِهِ أو شيء من يديه ، قطع ذلك منه ؛ لأنهُ شَبَّهَ اللهَ بنفسه . ثم قال مالكٌ : أما سمعتَ قولَ الْبَرَاءِ حين حدَّث أن النبيَّ ﷺ لا يضحي بأربعٍ من الضحايا وأشـارَ البَرَاءُ بيده كما أشـارَ النبيُّ ﷺ ، قال البَراءُ : ويدي أقصرُ من يَدِ رسولِ الله ﷺ فكره البراء أن يصف يدَ رسولِ الله ﷺ إجلالاً لَهُ وهو مخلوق ، فكيف الخالق الذي ليس كَمِثلِه شيءٌ ؟!

د) وروى أبو بكرٍ الأثْرَمُ ، وأبو عَمْـرو الطلمنكيُّ وأبو عبدِ اللهِ بنِ أبي سَلَمَةَ المـاجِشون كلاماً طويلاً في هذا المعنى ختمهُ بقولِهِ : «فما وصفَ اللهُ مِنْ نَفْسِهِ فسماهُ عَلَ لسـانِ رسولِهِ سمَّيناهُ كما سمَّاهُ ، ولم نتكلّفْ منهُ صفة ما سواهُ ، لا هذا ولا هذا ، لا نجحد ما وصفَ ، ولا نتكلّفُ معرفةَ ما لم يصِف» .

«اعلم ، رحمك اللهُ ، أن العصمةَ في الدينِ أن تنتهِي حيثُ انتُهِيَ بك ، ولا تجاوز ما قد حُدَّ لك ؛ فإنَّ من قِوامِ الدِّينِ معرفةَ المعروفِ ، وَإنكارَ المنكر ، فما بُسطتْ عليه المعرفةُ ،

وسكنَتْ إليهِ الأفئدةُ، وذُكر أصله في الكتاب والسُّنةِ، وتوارَثَ عِلْمَهُ الأمةُ فلا تخافنَّ في ذكرهِ وصفتِه من ربك ما وصف من نفسِه عيناً، ولا تكلفنَّ بما وصف من ذلك قدراً، وما أنكرته نفسُك، ولم تجد ذكره في كتاب رَبِّك، ولا في الحديثِ عن نبيِّك من ذكر صفة ربك فلا تتكلّفَنَّ علمه بعقلِك، ولا تصفه بلسانك، واصمُتْ كما صَمَتَ الربّ عنه من نفسِه، فإنّ تكلّفك معرفة ما لم يصف به مثل إنكارك ما وصف منها، فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعْظِمْ تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها، فقد واللهِ عزّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر، يسمعون ما وصف اللهُ به نفسَه من هذا في كتابه، وما يبلغهم مثلهُ عن نبيِّه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته من الرب قلبُ مسلم، ولا تكلّف صِفة قدره، ولا تسمية غيره من الرب مؤمنٌ، وما ذكر رسول اللهِ ﷺ أنه سماهُ من صِفة ربه فهو بمنزلة ما سمّى ووصفَ الرّب تعالى من نفسِه، والرَّاسخونَ في العِلْمِ، الواقفونَ حَيْثُ انتهى بهم علمهُمْ، والواصِفونَ لربهم بما وصَفَ

نفسَهُ، التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمَّى منها جَحداً، ولا يتكلَّفون وصفه بما لم يسم تعمقاً؛ لأن الحق ترك ما ترك وسمَّى ما سمَّى، ومَن ﴿يتَّبِعْ غيرَ سبيلِ المُؤْمِنِين نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ، ونُصْلِهِ جهنَّمَ وساءَتْ مَصيرا﴾ النساء. وهَبَ اللهُ لنا ولكم حكماً، وألحقنا بالصالحين».

مذهب الخلف في آيات الصفات وأحاديثها

قدمتُ لك أنَّ السلَفَ، رضوانُ اللهِ عليهم، يؤمنونَ بآياتِ الصفاتِ وأحاديثِها كما وردت. ويتركون بيانَ المقصودِ منها للهِ تبارك وتعالى، مع اعتقادهم بتنزيه اللهِ تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقِه.

فأما الخلَفُ فقد قالوا: إننا نقطعُ بأن معاني ألفاظِ هذه الآياتِ والأحاديثِ لا يراد بها ظواهرُها، وعلى ذلك فهي مجازاتٌ لا مانع من تأويلها. فأخذوا يؤوِّلون «الوجه»

بالذاتِ و «اليَدَ» بالقدرةِ وما إلى ذلك؛ هرباً من شبهةِ التشبيه. وإليكَ نماذجَ من أقوالِهم في ذلك.

١ - قال أبو الفرج بنُ الجوزيِّ الحنبليُّ في كتابه «دفع شبهة التشبيه»: قال الله تعالى: ﴿ويبقى وجْهُ ربِّكَ﴾[1] قال المفسرون: يبقى ربك، وكذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿يريدونَ وَجْهَهُ﴾[2]. أي يريدونه. وقال الضَّحَاكُ وأبو عبيدةَ: ﴿كلُّ شيءٍ هالكٌ إلّا وَجْهَهُ﴾[3] أي إلا هو.

وعقد في أول الكتاب فصلاً اضافياً في الرد على من قالوا إن الأخذَ بظاهرِ هذه الآياتِ والأحاديثِ هو مذهبُ السلَفِ؛ وخلاصةُ ما قالهُ أن الأخذ بالظاهر هو تجسيمٌ وتشبيهٌ؛ لأن ظاهرَ اللفظِ هو ما وُضع له، فلا معنى لليد حقيقةً إلا الجارحة، وهكذا. وأما مذهبُ السلَفِ فليس أخذها على ظاهرِها، ولكن السكوتُ جملةً عن البحثِ فيها وأيضاً فقد ذهبَ إلى أن تسميتها آيات صفاتٍ وأحاديث صفات تسمية مبتدعة لم ترد في كتاب ولا في سنة، وليست

(١) سورة الرحمن آية ٢٧.
(٢) سورة الأنعام آية ٥٢.
(٣) سورة القصص آية ٨٨.

حقيقيَّة فإنها إضافات ليس غير، واستدل على كلامه في ذلك بأدلة كثيرةٍ لا مجال لذكرها هنا.

٢ - وقال فخرُ الدينِ الرازيُّ في كتابه «أساسُ التقديس»: واعلم أن نصوصَ القرآنِ لا يمكنُ إجراؤها على ظاهرِها لوجوهٍ: الأول أن ظاهرَ قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ على عيني﴾[1] يقتضي أن يكون موسى عليه السلام مستقراً على تلك العين ملتصقاً بها مستعلياً عليها وذلك لا يقولُه عاقلٌ، والثاني أن قوله تعالى: ﴿واصْنَع الْفُلْكَ بِأعْيُنِنا﴾[2] يقتضي أن يكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين، والثالثُ أن إثبات الأعين في الوجه الواحد قبيح فثبت أنه لا بد من المصير إلى التأويل، وذلك هو أن تُحملَ هذه الألفاظُ على شدةِ العنايةِ والحراسةِ.

٣ - قال الإمامُ الغزاليُّ في الجزء الأول من كتابه «إحياء علوم الدين» عند كلامهِ عَلَى نسبةِ الْعِلم الظاهرِ إلى الباطنِ وأقسام مَا يتأتّى فيهِ الظهورُ والبطونُ، والتأويلُ وغير

(١) سورة طه آية ٣٩.
(٢) سورة هود آية ٣٧.

التأويلِ: القسمُ الثالثُ أن يكون الشيءُ بحيثُ لو ذُكِرَ صريحًا لفهم ولم يكن فيه ضررٌ، ولكن يُكنَّى عنهُ عَلَىَ سبيل الإستعارة والرمز؛ ليكونَ وقْعُهُ في قلبِ المستمعِ أغلبُ.. ومنه قوله ﷺ: «إنَّ المسجِدَ لَيَنْزَوِي[1] من النُّخَامةِ كما تنزوي الجِلْدَةُ على النار». ومعناهُ أن روحَ المسجدِ وكونَهُ معظّمًا، ورَمْيَ النخامة فيه تحقيرٌ لهُ فيضاد معنى المسجدية مضادّةَ النارِ لاتصال أجزاء الجلدةِ. وأنت ترى أن ساحةَ المسجدِ لا تنقبضُ من نخامةٍ، وكذلك قوله ﷺ: «أمَا يخشَىٰ الذي يرفَعُ رَأْسَهُ قبلَ الإمَامِ أنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأسَه رَأسَ حِمارٍ»[2] وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون، ولكن من حيث المعنى هو كائنٌ؛ إذ رأسُ الحمارِ لم يكن بحقيقته وكونه وشكله بل بخاصيته، وهي البلادةُ والحمقُ، وَمَن رَفعَ رَأسَه قبلَ الإمام فقد صار رَأْسُهُ رَأْسَ الْحِمارِ في معنى البلادةِ والحمقِ، وهو

---

(١) قوله ﷺ: «إن المسجد لينزوي» أي لينقبض. قال الزبيدي في شرح الإحياء: قال العراقي، هذا لم أر له أصلاً في المرفوع وإنما هو من قول أبي هريرة ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه. قلت: ورواه كذلك عبد الرزاق موقوفاً على أبي هريرة، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في المسجد في القبلة فقال: «ما بال أحدكم مستقبل ربه فيتنخع أمامه! أيحب أحدكم أن يستقبل فينخع في وجهه؟».

(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.

المقصودُ دون الشكلِ . وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليلٍ عقليّ أو شرعيّ . أما العقليُّ فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن ، كقوله ﷺ : «قلب المؤمنِ بين إصبعين من أصابع الرحمن(١)» إذ لو فَتَّشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع ، فعلم أنها كناية عن القدرة التي هي سرُّ الأصابعِ ورُوحُها الخفيُّ ، وكنَّى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعاً في تفهم تمام الأقتدار» .

وقد نعرض لمثل هذا الكلام في موضع آخَر من هذا البحث ، وفيما ذكرناه كفاية .

إلى هنا وضح أمامَك طريقَا السَّلَفِ والخلَفِ ؛ وقد كان هذان الطريقان مثارَ خلافٍ شديدٍ بين علماءِ الكلام من أئمة المسلمينَ ، وأخذ كلٌّ يدعمُ مذهبَه بالحجج والأدلةِ ، ولو بحثتَ الأمرَ لعلمتَ أن مسافةَ الخلْفِ بين الطريقين لا تحتملُ شيئاً من هذا لو ترك أهلُ كلٍّ منهما التطرفَ والغلوَّ ، وأن البحثَ في مثل هذا الشأن ، مهما طال فيه القولُ ، لا يؤدي في النهاية إلا إلى نتيجةٍ واحدةٍ ، هي التفويضُ لله تبارك وتعالى ، وذلك ما سنفصله لك إن شاء الله تعالى .

---

(١) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

بين السلف والخلف :

قد علمتَ أن مذهبَ السَّلَفِ في الآياتِ والأحاديثِ التي تتعلقُ بصفاتِ الله تبارك وتعالى أن يُمِرُّوها على ما جاءَت عليه ، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها ؛ وأن مذهب الخلف أن يؤوِّلوها بما يتفقُ مع تنزيهِ الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقِه . وعلمتَ أن الخلافَ شديدٌ بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنابز بالألقاب العصبيةِ ؛ وبيانُ ذلك من عدة أوجهٍ :

أولاً : اتفقَ الفريقانِ على تنزيهِ الله تبارك وتعالى عن المشابهةِ لخلقهِ .

ثانياً : كلٌّ منهما يقطعُ بأن المرادَ بألفاظِ هذه النصوصِ في حقِّ الله تبارك وتعالى غيرُ ظواهرِها التي وُضِعتْ لها هذه الألفاظُ في حق المخلوقاتِ ، وذلك مترتبٌ على اتفاقهما على نفي التشبيه .

ثالثاً : كلٌّ من الفريقين يعلمُ أن الألفاظَ تُوضَع للتعبير عما يجولُ في النفوسِ ، أو يقعُ تحتَ الحواسِ مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها ، وأن اللغاتِ ، مهما اتسعت ، لا تحيطُ بما ليس

لأهلها بحقائقِه علمٌ، وحقائقُ ما يتعلقُ بذاتِ الله تبارك وتعالى من هذا القبيلِ، فاللغةُ أقصرُ من أن تواتينا بالألفاظِ التي تدلُّ على هذه الحقائق، فالتحكمُ في تحديدِ المعاني بهذه الألفاظِ تغريرٌ.

وإذا تقرر هذا فقد اتفقَ السّلَفُ والخَلَفُ على أصل التأويلِ، وانحصرَ الخلافُ بينهما في أنَّ الخَلَفَ زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورةُ التنزيهِ إلى ذلك حفظاً لعقائدِ العوامِ من شبهةِ التشبيهِ، وهو خلافٌ لا يستحقُّ ضجةً ولا إعناتاً.

ترجيح مذهب السلف:

ونحن نعتقدُ أن رأي السلَفِ من السكوتِ وتفويضِ علمِ هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلمُ وأولى بالاتباعِ، حسمًا لمادةِ التأويلِ والتعطيلِ؛ فإن كنت ممن أسعدَه اللهُ بطمأنينةِ الإيمانِ، وأثلجَ صدرَه ببردِ اليقينِ فلا تعدل به بديلاً؛ ونعتقدُ إلى جانب هذا أن تأويلاتِ الخلَفِ لا توجبُ الحكمَ عليهم بكفرٍ ولا فسوقٍ، ولا تستدعي هذا النزاعَ الطويلَ بينهم وبين غيرهم

قديماً وحديثاً، وصدرُ الإسلام أوسعُ من هذا كلّه. وقد لجأ أشدُّ الناسِ تمسكاً برأيِ السلَف، رضوانُ اللهِ عليهم، إلى التأويل في عدَّةِ مواطنَ، وهو الإمام أحمدُ بنُ حَنْبلٍ رضي الله عنه، من ذلك تأويلهُ لحديثِ: «الحَجرُ الأسودُ يمينُ اللهِ في أرضِه[١]» وقوله ﷺ: «قلبُ المؤمنِ بين إصبعينِ من أصابعِ الرّحمٰنِ[٢]» وقوله ﷺ: «إني لأجد نفسس الرّحمنِ من جانب اليمن[٣]».

وقد رأيتُ للإمام النوويّ رضي الله عنه ما يفيد قرب مسافة الخلافِ بين الرأيينِ مما لا يدَعُ مجالاً للنزاعِ والجدالِ ولا سيما وقد قيّد الخلفُ أنفسهم في التأويلِ بجوازه عقلاً وشرعاً، بحيث لا يصطدمُ بأصلٍ من أصولِ الدينِ.

قال الرازيُّ في كتابه «أساسُ التقديسِ»: «ثم إنْ جوَّزْنا التأويلَ اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلاتِ على التفصيلِ، وإن لم نجز التأويلَ فوّضنا العلم بها إلى اللهِ تعالى،

(١) قال العراقي: رواه الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر.
(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو.
(٣) قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه: «وأجد نفس ربكم من قبل اليمن» ورجاله ثقات.

فهذا هو القانون الـكليُّ المرجوعُ إليه في جميع المتشـابهاتِ، وبالله التوفيقُ» .

وخلاصةُ هذا البحثِ أن السّلَفَ والخلَفَ قد اتفقا على أن المرادَ غيرُ الظاهرِ المتعارفِ بين الخلقِ، وهو تأويلٌ في الجملةِ، واتفقا كذلك على أن كلَّ تأويلٍ يصطدمُ بالأصولِ الشرعيةِ غيرُ جائزٍ، فانحصرَ الخلافُ في تأويلِ الألفاظِ بما يجوزُ في الشرعِ وهو هينٌ كما ترى، وأمرٌ لجأ إليه بعضُ السلفِ أنفسُهم، وأهَمُّ ما يجبُ أن تتوجَّه إليه همُ المسلمينَ الآن توحيدُ الصفوفِ، وجمعُ الـكلمةِ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، واللهُ حسبنا ونعمَ الوكيلُ.

فهرس